الهجرة والتطهير العرقي في الرواية المعاصرة. "قراءة نقدية في نماذج مختارة"

د.رشا غانم

مدرس الأدب و النقد –الجامعة الأمريكية– مصر .

مرآة البحث:

أولا:المقدمة،كلمات دالة على البحث–هدف البحث،أهمية البحث منهج البحث. ص١

ثانيا :التمهيد، مفهوم الهجرة والشتات.ص٢–٦

ثالثا: خمسة محاور تطبيقية. ص٧–٣٧

رابعا: ملخص باللغة العربية.ص ٣٨

خامسا:الخاتمة. ص٣٨

سادسا: قائمة المصادر والمراجع. ص٣٩

سابعا:ملخص باللغة الإنجليزية. ص٤٠

أولا:المقدمة .

كلمات مفتاحية دالة / الهُوية–الاستلاب – التطهير العرقي– اللجوء –االهجرة –المرأة السوداء––العبور العرقي – الشتات.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على خمس روايات مختارة ([1])؛ بوصفها روايات المهاجر، والتطهير العرقي،حيث سنمضي في تحليل روايات تغلبت على ألم الهجرة والتطهير العرقي، والاغتراب بالرواية، انتصرت للحق البشري في أن يتغلب على الألم، حتى لو عن طريق السطور، حيث يكتب الروائي العربي روايته اليوم، وهو يصارع استلاب ذاته ،وتربُك هُويته ، وفى قدراته الشخصية التي تساعده على تخيل العالم فى صورته الجديدة ، والأهم أنها تُدمر حسّه التاريخي، وصداقته مع المكان ، موضوعات الهجرة ، والاغتراب ، والهوية ، والتطهير العرقي، والآخر ، والاندماج الثقافي في المجتمعات الجديدة ، واكتساب القيم

[1] -الروايات االخمس المختارة هي:

١:- إسنام تاليتش،قصة سربرينيتسا"رواية عن الحرب في البوسنة ،ترجمة صهباء محمد بندق، عن ترجمتها الإنجليزية لمحمد باشا نبيجوفش القاهرة ،دار السلام للطباعة والنشر والترجمة،ط١ ،٢٠٠٨م.

٢ - إبراهيم الكوني، ناقة الله ، ،لبنان،دار سؤال للنشر،ط١ ،٢٠١٥م

٣- - نردين أبو نبعة"، ،:"رب إني وضعتها أنثى" " المركز العربي للدراسات والنشر،بيروت،،ط١ ،٢٠١٣م.

٤- " نيلا لارسن:،("زنج") " ترجمة: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م.

٥- أورلي كاستل بلوم:." الرواية المصرية، دار نشر هكيبوتس همؤحد، إسرائيل، ط١. ٢٠١٥م.

والمبادئ الغربية ، والبحث عن الذات ، والحاجة إلى فهم الآخر ، والتمزق بين العوالم المختلفة ، والتمسك بالجذور ، والتأقلم .. تلك الموضوعات التي صرنا نجدها في كتاباتهم ،كما أن كل هذه الموضوعات تمثل حيوات أبطال أعمالهم الروائية.

يهتم البحث بإظهار أزمة الهجرة وتداعياتها والتطهير، والعبور العرقي في الوطن العربي، والعالم وسط واقع مأزوم بصراعات كثيرة.

اعتمدت في بحثي–هذا– على المنهج االتكاملي "وهو يأخذ من كل منهج كممارسة نقدية مركبة تجمع بين المعطيات ، الفنية والتاريخية، والأبعاد النفسية والاجتماعية، والعقدية؛ للارتكاز على

رؤية شمولية واحدة."[٢]

ثانيا :التمهيد:

مفهوم الهجرة ، و الشتات .

الهجرة ،Immigration هي عملية يتمُّ من خلالها رحيلُ الفرد من بلده إلى بلاد أخرى طوعا، وليس كَرهًا، بمعنى أنّه يرحل بإرادته الكاملة، لأسباب اجتماعية، أو شخصية، حيث يصبح هذا الفردُ مقيماً دائمًا، أو مؤقتًا، أو مواطنًا في دولة جديدة. [٣].

التهجير ،Displacement ،يكون هناك طرف ما يهدد أمن مجموعات مختلفة من الناس، فهو سياسية إكراه، وتشريد، وإرغام على مغادرة مسكن، أو بلد بسبب الحرب، أو نزاع مسلح، أو فتنة سياسية، أو مُخطَّطات تهجيرية، وتطهير عرقي.[٤].

. مصطلح الهجرة يثير كثيرًا من الجدل والخلاف؛لأنَّه يعطي امتيازا للأشخاص المهاجرين أكثر من هؤلاء العاجزين عن ترك أراضيهم الأصلية، وعلاوة على ذلك يتضمن حقهم الشرعي في العودة ؛حيث تتألف الهجرة من سيرورة انقطاع مضاعفة تبعد المرء عن وطنه ؛ ليصبح مولودا في عرض العالم وفي سيرورة هذه الترجمة الشخصية والثقافية يصبح الوقت والمكان خامًدا وغير شفاف ومقطوعا ومشوها، حيث إن التاريخ يوفر النهوض للذاكرة والهُوية ،والمجاز. وتقدم المدن الحقيقية فرصة لصعود "الأوطان المتخيلة،أو التي يتصورها الذهن ويرغب بها،فالذي ضاع لا يمكن استعادته بشكله الأصلي.

---

[٢] - - عبد العزيز عتيق،،١٩٧٢، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية ،بيروت، ،،ط ١ ،،ص ٣٠٨د.

[٣] - - قاموس مصطلحات الهجرة للإعلام ،نسخة الشرق الأوسط، ،مطبوعات الأمم المتحد ،ة،عمان ،ط١ ،،٢٠١٦م ،ص٢٢،..

[٤] - - قاموس مصطلحات الهجرة للإعلام ،نسخة الشرق الأوسط، ،مطبوعات الأمم المتحد ،ة،عمان ،ط١ ،،٢٠١٦م ،ص٢٣،.

الهجرة مصطلح مختلف عليه لأنه يميل للذوات المتحركة وليس تلك التي لا تستطيع الابتعاد عن بلدانها الأصلية. وفوق ذلك ينطوي على عواقب فكرة العودة المفترضة.
وهكذا يواجه الكاتب المهاجر في سردياته مشكلة إعادة ابتكار العالم.
إن المهاجر يكون في حالة حراك ثقافي يعبرعنه مجازيا؛ ولذلك "يترجم" مجازيا وحرفيا ،ويصبح ذاتا معرضة "لرؤية نمطية" مزدوجة ترشحه للسقوط في "صراع الذاكرة ضد النسيان" والسلطة.
ويبحث المهاجر عن هويته في ذاته، وفى قدراته الشخصية التي تساعده على تخيل العالم فى صورته الجديدة" [٥].
ويرى المفكر الفلسطيني "إدوارد سعيد" أن اللاجئ المنفي هو أكثر الأقدار مدعاة للكآبة".[٦] فالمنفى ليس محض حالة جغرافية أو مكانية، وإنما هو محنة يتأتى عنها ضرب من الإلحاح يجعل استخدام اللغة شيئًا أشد تشويقًا وأكثر آنية مما لوكان الأمر بخلاف ذلك" [٧].
الشتات،Diaspora ،[٨]. حين يضطر الكثيرون بالهجرة في أنحاء الأرض؛ نجاة بحيواتهم، وهي تتهاوى، وكيف عبّر الروائيون عن المآسي الكبيرة؟! التي تتيح مجالاً للعقل كي يبحث عن متنفس يتغلب على الألم والحسرة، ينطلق الخيال في فضاء لا نهائي باحثًا عن طريق للانتصار على الواقع فنجد الكُتاب يتخذون من الكتابة معبرا للبوح فكانت أكثر إثارة ورصدًا لهذا الواقع .
كلمة (الشتات) تشير إلي الكلمة اليونانية Diaspora فكلمة spora والتي تعني (بذر الحبوب)، وحرف الجر (Die) يعني (عبر). وأنْ تُبعثر بالقوة، يعني أنْ تُطرد من موطنك الأصلي، أو وطنك الموعود ؛لتعيش فى غيابات المنفى الشتاتي، والذي يستوجبه عقابٌ بشعٌ حيث يتضمن الترحال والهجرة الدائمين، لذا وفى المقابل سوف تغير من سلوكك الاجتماعي، وممارساتك الثقافية، والأخلاقية، ومزاجك العاطفي للموضوعات ذات الصلة بالمنفى كـ:الهجرة الطوعية أو الجبرية للناس من بلدهم الأصلي.

---

[٥] - - إدوارد سعيد،تأملات في المنفى، ج١، ثائر ديب (مترجم)، ط١، (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤)، ص٢٠٨.
[٦] - إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ج١، ثائر ديب (مترجم)، ط١، (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤)، ص١٩.
[٧] - إدوارد سعيد، خارج المكان، فواز طرابلسي (مترجم)، ط١، (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٠) ص٩
[٨] - - مجموعة مؤلفين ، قاموس مصطلحات الهجرة للإعلام ،نسخة الشرق الأوسط، ،مطبوعات الأمم المتحد ،ة،عمان ،ط١ ،،٢٠١٦م ،ص٢٤،٢٢..

أدب الهجرة والشتات يهتم عادة بأسئلة حفظ أو تبديل الهوية أو اللغة أو الثقافة، أثناء الوجود في سياق ثقافة أو دولة أخرى. من مظاهر الشتات"الوعي،الهوية ،العنصرية،العنف،الانزياح"[٩]

وتعد سرديات الهجرة ،و الشتات إعادة تفكير على صعيد الهوية والتاريخ والذاكرة والمكان.

مع أنَّ فكرة الشتات ليست جديدة فإنَّ الاهتمام بها في العلوم الاجتماعية والإنسانية ظاهرة حديثة نسبيا، وهى بوجه عام مرتبطة بصدور مجلة (الشتات) الصادرة في عام ١٩٩٠م. فإذا كان مفهوما (الهجرة والمنفى) مفهومين مرتبطين جدليا مع المفاهيم الشائعة للأمة؛ فإنَّ فكرة الشتات تشير إلي المفاهيم الخاصة بـ ما بعد القومية والعابرة للحدود الوطنية للهوية. ويناقش مفهوم الشتات تلك النتائج الإنسانية والثقافية لفشل الدول القومية في أعقاب العولمة وفترة بعد الاستعمار.

يشير الشتات إلى مجتمع في دولة أخرى عرف نفسه على أنه مجموعة عرقية مفردة اعتمادًا على الهوية المشتركة. وتنجم مجموعات الشتات عن الهجرة التاريخية من الوطن الأصلي. وفي الحالات المعاصرة، يمكن أن يتم توثيق هذه الهجرة تاريخيًا، وكذلك الشتات المقترن بإقليم معين. ويعد تحديد ما إذا كان هذا الإقليم في الواقع هو وطن لمجموعة عرقية معينة أم لا شأنًا سياسيًا،وكلما كانت الهجرة قديمة، قلت الأدلة المتاحة على الحدث ،وغالبًا ما يكون للادعاء المتعلق بالوطن إيحاءات سياسية، وغالبًا ما يكون ذلك محل نزاع.

تضع مجموعات الشتات ذاتية التحديد قدرًا كبيرًا من الأهمية على وطنهم، بسبب ارتباطهم العرقي والثقافي به، خصوصًا إذا لم يكن "مفقودًا" أو "محتلاً". وقد أدى ذلك إلى ظهور الحركات الوطنية العرقِية في العديد من مجموعات الشتات، وغالبًا ما يؤدي ذلك إلى تأسيس وطن له سيادة. لكن حتى عندما يتم تأسيس تلك الحركات، من النادر أن تعود مجموعات الشتات الكاملة إلى الوطن، ويبقى مجتمع الشتات المتبقي ملحقًا عاطفيًا كبيرًا بالوطن، والأشخاص ذو الأعراق المشتركة به. حيث إن الشتات هو الموقع الذي تجد فيه هذه الخلفية معنى. الشتات ماضي مُخترَع للحاضر، ومُحوَّل أبدًا إلى أشكال ومعان تتوافق مع الحاضر. وبذلك يقوم لا كحقيقة معاشة بل كجزء من مخطط أوسع لإدخال الاستمرارية، والتماسك في قصص الحياة المكسورة فرضًا في ظل ظروف الهجرة والنفي. إنه إضفاء

(٩) رامي أبو شهاب : ،الممر الأخير"سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كو لونيالي،المؤسسة العربية للدراسات والنصر، لبنان ط١ ،"٢٠١٧م ص٣١. .

للصفة المادية على الأوطان المقولية، والتقاليد، والذاكرات الجماعية، وحالات التوق الشديدة .إنها مقولة من مقولات الوعي التي تفتقر فيها ممارسات الصيغ المضارعة إلى القدرة في ذواتها ، لكنها تحصل على الأهمية بمواجهة ابتكارية الماضي.

يجري بين الجاليات وبين دولة الأصل: بين الهوية المتخيلة للوطن وبين الهوية المتخيلة للثقافة الأجنبية.

أزمة الشتات أزمة ثقافية وجودية"[١٠]

حيث يبرز أزمة؛ فمن جهة يدل الشتات على التبعثر العالمي لمجموعة تتعرف على نفسها من خلال موطنها الأصلي ولكن من خلال خيال ثقافي مشترك وأزمات تاريخية وسرد من أجل البقاء وأشكال جديدة من أجل التواصل ومن أجل بناء المجتمع، ولذلك فإنَّ الشتات يخاطر في كونه مثاليا تماما مثل الظروف الثقافية والاجتماعية النموذجية للعولمة. وعلى الجانب الآخر يتشكل كلُ شتاتٍ من خلال بيئته الجغرافية والتاريخية والثقافية الخاصة. فإن الشتات مفهوم سوسيولوجي لا مفهومًا قانونيًا؛ وبالتالي المشتت يمكن أن يكون لاجئا ، اقتُلع من أرضه، أو مهاجرا خرج لأسباب اقتصادية.[١١]

وبرهنت الرواية المعاصرة أنها يمكن تطبيق مفهوم الشتات بوصفه مصطلحا وصفيا يدل على الاستخدام الوصفي كمغزى الرمزي والحرفي للمنزل القديم، والقوة الموحدة للذاكرة الجماعية، والحنين الشجي للعودة إلي أرض الوطن (المراوغ دائما)؛ وهذا بدوره يحمي القدرة الثورية للشتات، وخطر السرد البسيط للهوية الشتاتية القائمة على المنهج المطلق للجنس والعرق.

ثالثا: خمسة محاور تطبيقية كالآتي:

1- الكاتب البوسني إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا.[١٢]

٢- الكاتب الليبي إبراهيم الكوني وروايته "ناقة الله".[١٣]

---

(١٠) رامي أبو شهاب : ٢٠١٧م ،الممر الأخير"سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كو لونيالي،المؤسسة العربية للدراسات والنصر، لبنان٢٠١٧م ط١ "ص١٠١.

١١ - ساري حنفي: 1996 ، بين عالمين :رجال الأعمال الفلسطينيون في الشتات ،وبناء الكيان الفلسطيني ."دار المستقبل العربي؛ القاهرة، ط٢ ، ص١-٢.

١٢ - إسنام تاليتش، ولد في ولاسنيتسا في شمال شرق البوسنة ١٩٥٤م،عمل منذ١٩٩٣م محررا في مجلة ليليان الأسبوعية التي بدأت خلال الحرب ضد البوسنة،نشر اثنا عشر عملا ،ومن رواياته:العامل الموسمي ١٩٨٨م،كم هائل من الخيوط الحمراء ١٩٨٩م،النمر رواية قصيرة حول الحرب ضد البوسنة١٩٩٤م،قصة سربرينيتسا ١٩٩٨م، رحلة بحرية من مكة المكرمة٢٠٠١م،العاصفة،٢٠٠٤م..

١٣ - إبراهيم الكوني كاتب ليبي طارقي ولد بغدامس - ليبيا عام ١٩٤٨. يؤلف في الرواية والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية والتاريخ والسياسة. يجيد تسع لغات وكتب ستين كتابًا ومن رواياته:رباعية الخسوف١٩٨٩م،التبر ١٩٩٠م،نزيف الحجر١٩٩٠م، بر الخيتعور (رواية) ١٩٩٧ م،- واو الصغرى (رواية) ١٩٩٧ م،- عشب الليل (رواية)١٩٩٧ م.- الدمية (رواية) ١٩٩٨ م،- - الفزاعة

٣- الكاتبة الفلسطينية نردين أبو نبعة روايتها"رب إني وضعتها أنثى. [١٤]

٤- الكاتبة الإسرائيلية "أورلي كاستل بلوم روايتها الرواية المصرية. [١٥]

٥- الكاتبة الأمريكية من أصول هندية "نيلا لارسن وروايتها "زنج". [١٦]

١-المحور الأول:رواية قصة سربرينيتسا للكاتب البوسني إسنام تاليتش

الرواية هي بحث عن قيم أصيلة في عالم لا أصيل، فهي بالضرورة وفي آن واحد سيرة وتاريخ اجتماعي". (لوسيان غولدمان).

التطهير العرقي،Ethnic cleansing ، [١٧].

"إن التطهير العرقي جريمة ضد الإنسانية،والذين يقدمون على ارتكابه اليوم مجرمين يجب محاكمتهم أمام هيئات قضائية خاصة". [١٨]

(رواية) ١٩٩٨ م وغيرها. وتدور معظم رواياته على جوهر العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالحتمية والقدر الذي لا يُردّ.

[١٤] - نردين أبو نبعة: ، أديبة فلسطينية وكاتبة واعلامية متخصصة في أدب وثقافة وتعديل سلوك ومشاعر الاطفال العرب تعمل حاليا كمعدة ومقدمة برامج في إذاعة "حياة اف ام" من خلال برنامج "حكي بنات" وهو برنامج يعنى بشؤون المراهقين في عمر ١٥-٢١ سنة؛ تهتم بقضايا تختص بشؤون الطفل و تربيته ولها عدة نشاطات أدبية كمساهماتها في لجان التحكيم في المسابقة الإبداعية الثالثة لعام ٢٠٠٤ لأعمال جمعية المركز الإسلامي الخيرية، كما قدمت العديد من الأمسيات الثقافية القصصية في المنتديات الثقافية الأردنية.

[١٥] - أورلي كاستل بلوم: دبية عبرية. ولدت في تل ابيب في عام ١٩٦٠ لعائلة يهودية مصرية. درست السينما في جامعة تل ابيب. وبدأت بنشر دراسات ومقالات وأعمال أدبية من جيل مبكر. وهناك من يعتبرها من أبرز الكاتبات في اسرائيل. وحازت على جوائز كثيرة، منها: جائزة تل ابيب(١٩٩٠)،

، وترجمت أعمالها إلى أكثر من تسع لغات، منها الفرنسية والالمانية والانكليزية والصينية والاسبانية. ومنها: "غير بعيد عن مركز المدينة ـ قصص"، "محيط مُعادٍ"، "أين أنا موجودة"، "أجزاء إنسانية"، "مع الأرز لا يتجادلون: مختارات قصصية".

[١٦]- نيلا لارسن: ولدت نيلا لارسن في شيكاغو عام ١٨٩١ لأب أسود من إحدى جزر الهند الغربيةو أم دانماركية ، بعد ترك والدها العائلة وهي في سن الثانية تزوجت أمها من رجل آخر حملت نيلا اسمه فيما بعد. عايشت منذ طفولتها التمييز العنصري كونها الفرد الوحيد ذو البشرة الداكنة في العائلة . أرسلتها أمها لدراسة التمريض في جامعة فيسك بولاية تينيسي وبعد تخرجها عملت ممرضة في نيويورك وتزوجت فيها في عام ١٩٦٤ كتبت لارسن روايتين تناولت فيهما تعقيدات الهوية العرقية . أصدرت أولاهما في عام ١٩٢٨ بعنوان "رمل منهار" ثم أتبعتها بعد عام برواية يمكن ترجمتها باسم "عبور" أما "زنج" فهو ما أرادت لارسن أن تسمي روايتها به ،توفيت عام ١٩٦٤ عن عمر ٧٢ عاما في ولاية نيويورك.-.

[١٧] - - قاموس مصطلحات الهجرة للإعلام ،نسخة الشرق الأوسط، ،مطبوعات الأمم المتحد ،ة،عمان ،ط١ ،،٢٠١٦م ،ص٢٤،٢٢..

[١٨] - إيلان بابه (مؤرخ إسرائيلي) التطهير العرقي في فلسطين ،ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،بيروت ط١ ،٢٠٠٧م، ص٩

يترافق التطهير العرقي عادة مع جهود مبذولة لإزالة الدلائل المادية والثقافية على وجود المجموعة المستهدَفة، من خلال تدمير منازلها، ومراكزها الاجتماعية، ومزارعها، وبُناها التحتية،وهذا ما حدث في مذبحة سربرينيتسا.[١٩]

نناقش هذه الرواية من خلال مصطلح "التطهير العرقي",والمذبحة التي حدثت في مدينة سربرينيتسا إحدى مدن البوسنة والهرسك مع كاتبها البوسني إسنام تاليتش أحد الناجين من المذبحة ويروي أحداث قصة حقيقية فالرواية سيرة ذاتية له يجسدها بطل الرواية الرئيس (مرجان جوزو) حيث يحكي على أحداث المذبحة من خلاله .

"سربرينيتسا هي بلدة صغيرة تقع في شمال شرقي البوسنة،سمع العالم اسمها عقب المعاناة غير المسبوقة لآلاف من سكانها الأصليين ولضحايا كثيرين أيضا".[٢٠]

والرواية سيرة ذاتية للكاتب الناجي من هذه المذبحة حيث "قصة سربرينيتسا كما يعترف المؤلف بذاته كُتبت كردة فعل واجبة وكاستجابة حتمية لرجل عاش بعمق المصير المروع لأهل بلدته،إنها ردة الفعل على غياب الإنسانية...فلم يتناول الجناة بانفعال وغضب بل تعرض غاص عميقا إلى الأسباب الجذرية وراء ارتكابهم لأبشع الجرائم." .[٢١].

" حيث استقر المؤلف –الذي نزح عن بلدته أيضا– بشكل مؤقت وظل هناك يكابد الشوق إلى موطنه الأصلي المسلوب وقد نشرت الرواية في أعقاب الإعلان عن الجريمة العظمى ضد الأبرياء في سربرينيتسا وصدرت الطبعة الأولى في (بيهاتش)بعد بضع سنوات في ١٩٩٨م".[٢٢].

وأولئك الذين نجوا من سعير (سربرينيتسا)كانوا قد أرسلوا لى إسنام تاليتش وثائق مكتوبة أدلوا بها بشهاداتهم ورواياتهم ،وقدموا بياناتهم، وألزموه بالتعهد بتسجيل كل شيء".[٢٣].

"ففي جحيم سربرينيتسا ينكشف كل شيء من خلال ذاكرة البطل مرجان جوزو يظهر كل ما حدث من خلال اسمه،وإيمانه،وفي الحالات المختلفة لجسده المعذب.".[٢٤].

---

[١٩] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٩ نفذ مذبحة(سربرينيتسا) قائد القوات الصربية راتكو ملاديتش ، بأمر من زعيم صرب البوسنة السفاح رادوفان كارازديتش، وبمباركة مجرم الحرب ورئيس يوغوسلافيا آنذاك "سلوبودان ميلوسيفتش"تحت مباركة الأمم المتحدة.

[٢٠] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص١٧

[٢١] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص١٨

[٢٢] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص١٨

[٢٣] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص١٨

وكان وقود المعركة الإعلام الفاسد وثقافة التجهيل التي كان يبثها عبر شاشاته أثناء المذبحة يسردها المؤلف بقوله:"كلما وقعت عيني مصادفة على محطة التليفزيون الصربي لأتطهَّر من النجاسات التي كان يعرضها ما تسمية تليفزيونهم...كانوا يقدمون أقبح الأكاذيب وأكثرها بشاعة حول كل ما يتعلق بالبوسنة وخصوصا سربرينيتسا تلك الأراجيف الشنيعة التي عرضت كما لو كانت حقائق جلية لا تقبل الجدال،قاموا بتشويه الحقيقة لتظهر تلك الأباطيل كما لو كانت واقعا حقيقيا ناصع الوضوح"[٢٥]

تعد أبشع مذبحة تطهير عرقي ضد سكان المدينة يتعرض لها المسلمون في القرن العشرين حيث اجتاحتها قوات صرب البوسنة ، وفصلت الرجال والاطفال عن عائلاتهم وقتلت منهم ما يزيد عن ثمانية آلاف شهيد. وثبت بالفعل من لجنة رسمية تشكلت بأمر دولي، اشتراك قرابة ٣٠ ألفا من صرب البوسنة في جرائم.

كما ارتكبت الجريمة في المكان الذي كان الضحايا يحتمون فيه تحت مظلة الأمم المتحدة التي يمكن القول إن قواتها دخلت البوسنة لحماية نفسها قبل كل شيء !

سربرينتسا اليوم أكثر شبها بقبر مفتوح إنها تشبه بقوة شكل القبر المفتوح بل إنها لا تشبه أي سيف أكثر من لحد كبير يفتح ذراعيه.." [٢٦]

حيث "صار الموت حدثا مألوفا جدا في سربرينتسا...كما لو كان عادة شائعة التقطها المرء من بيته بشكل طبيعي جدا"[٢٧]

وتداعيات الموت لم تكن في المذبحة فقط بل الجوع أيضا كان ينهشهم كوحش مفترس يبحث عن فريسته وما أقسى أن تكون الفريسة هي أقرب الأقربين لك ومن وضعت فيهم ثقتك! "كنا نعثر على جثث الموتى الذين لم يلقوا حتفهم برصاص القناصين ولا بقذائف القصف الجوي كانت علامات العراك والمقاومة تبرز بوضوح على أجسامهم لا بد أن الجناة المجرمين كانوا من أصدقاء الموتى الحميميين أو من أقاربهم المقربين ،فلو لم يكونوا كذلك لما وافق الضحايا على قضاء الليلة برفقتهم وربما أنهم في لحظة من لحظات الضعف الإنساني قد ائتمنوهم على المكان السري الذين خبأوا فيه لقيمات الطعام الصغيرة جدا! [٢٨]

---

[٢٤] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٣

[٢٥] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢١٦.

[٢٦] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٩٢

[٢٧] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص١٣١

[٢٨] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص١٢٩

"مجزرة سربرينتسا تمثل فشل المجتمع العالمي ؛لأن الضحايا قد وضعوا ثقتهم في الحماية العالمية ولكن المجتمع العالمي خيب أملهم فهذا فشل كبير جماعي يستحى منه""[٢٩]

"والأطفال والنساء والعجائز !كم منهم كان من الممكن ألا يقتلوا لو لم ننسحب من سربرينيتسا التي استولى عليها التشيتيك بمساعدة الأمم المتحدة التي خدعتنا بالوعد بإرسال طائرات الناتو القاذفة للقنابل إن نحن تراجعوا للوراء أكثر وتقهقرنا إلى البلدة؛ولهذا بدأنا مسيرة الثمانين كيلو مترا فوق التلال وأسفل جداول البوسنة المحتلة مضحين بأنفسنا من أجل سلامتهم!" [٣٠]

وألف السكان كل أدوات الموت التي حاكها الصرب لهم فليس هناك شخص واحد في سربرينتسا لا يعرف منظر آثار الرصاص على الملابس فقد كانت طلقات الرصاص أقرب إلينا من القمصان التي على ظهورنا كانت تلك القمصان أدق خيط في العالم يفصلنا عن الموت""[٣١]

تجلى تيار الوعي في الرواية على الارتكاز الأكبر على الضمير الأول "أنا" حيث لديه القدرة الفائقة على أن يغوص داخل النفس، ويكشف عن خفاياها ويسبر أغوارها،ك:"ركضت نحو عمتي العجوز زيرينا كانت تخرج من بيتها البرجوازي الذي أشك في أنها ذاقت طعم النوم في ليلتها التي قضتها بداخله،بل أنني أتصور حتى أن يكون قد غمض لها جفن في تلك الليلة،كنت أعتقد أن بيتها عتيق قد انهار منذ زمن لكن كارثة اللاجئين أعادت الحياة إلى كثير من البيوت المهجورة ...قالت لي وهي تشير برأسها نحو السكان الذي أتت بهم الحرب إلى بيتها "أنا شاكرة وممتنة لأنهم أخذوني إلى داخله"[٣٢]

وينثال السرد على مائدة الحكي بطريقة تقوم على التداعى الحر للمعانى فى ذهن الشخصية الرئيسية أو الراوي الرئيس وهو الكاتب الذي يسرد لنا سردا متواليا لأحداث كثيرة ينتقل منها من الداخل إلى الخارج فمن الزوايا الضيقة التي تحيطه فنجد الذاكرة الخاصة ببطل الرواية مرجان جوزو وكذلك على استحضار تاريخ الجد رحمن بك جوزو من خلال قراءة دفتر

[٢٩] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٤٦٥.
[٣٠] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٤٦٥.
[٣١] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٨٢
[٣٢] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٨٢

يوميات الحرب الخاص به ومذكراته الشخصية. ..ويكشف القدر الذي يجمع بين حياة كل منهما.." [٣٣]

حيث تتداخل وتتشابك رواية سربرينيتسا والمروية على لسان بطل الرواية (مرجان جوزو) مع قصة البطل الجد(رحمن بك جوزو ومغامراته من الحرب العالمية الأولى وهكذا تخطت سربرينيتسا المعنى الحرفي لعنوانها لتصبح رواية مشرقة وواضحة لتاريخ البوسنة والبوسنيين جميعا." [٣٤].

أراد ناليتش مثله مثل كثير من البوسنيين مهتم بقضية التطهير العرقي يحذر من تكرارها وكأنه خرج للتو من بين المقابر الطرية الطازجة محذرا ومنذرا فالرواية أقرب أو أشبه ما تكون بقصيدة رثاء وتأبين للإنسانية التي قتلها الحرب يدين بها الكاتب الحرب وأهوالها ومصائبها بأسلوب تحكمي! [٣٥].

وعندما نقف عند عقد الرواية والحبكة الدرامية التي أودت بنا لأحداث مشينة كوصمة عار على جبين العالم يوضح لنا المؤلف منبع الحقد والكراهية الذي رضعته الجدات الصربيات في حليب كل صربي ضد أخيه المسلم بوصفه خانه ودخل ديانة جديدة كان أحرى به أن يظل في ديانته "في ذلك الوقت حين كانت المؤامرة تختمر في الخفاء..وتدير المكائد والخطط،وبينما كان البوسنيون –كعادتهم– لا يمكنهم أن يتخيلوا ما كان ينتظرهم ،كانت كل جدة صربية تعرف ما هي مهمتها بالضبط تماما كما فعلا المعلمة الطيبة (دانيتسا)..." [٣٦].

ونستكشف أغوار الحكاية في مجموعة "القيم التي كان يراها جيل الآباء الذين عاصروا الحرب؛تتمثل في أن جزءا من البوسنيين أُطلق عليهم اسم البوشناق باللهجة المحلية –فقد خانوا المسيحية عندما اعتنقوا الإسلام الذي انتشر في البوسنة كما لم ينتشر في المناطق المجاورة،وأصبح دين الغالبية بعد حوالي مائة وخمسين سنة من الحكم العثماني(١٤٦٣م–١٨٧٨م) وجاء موقع البوسنة المسلمة بين صربيا الأرثوذكسية وكرواتيا الكاثوليكية ليجعل منها حدا فاصلا بين الشرق والغرب بالمفهوم المسيحي الثقافي..." [٣٧]

من المهم ملاحظة أن سكان البوسنة هم أوروبيون وسكان أصليون للبلاد من السلاف الجنوبيين وليسوا أتراك بل هم من نفس الأصول الذي الذي انحدر منها الصرب إلا أن

٣٣ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٨
٣٤ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٠
٣٥ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٥
٣٦ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٧
٣٧ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٦

الصرب خضعوا لنفوذ الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا بينما ظل سكان البوسنة في عقيدتهم البوغوميلية"[٣٨]

لأنه؛" من يدخل في العقد النفسية الموروثة لدى الصرب يجد في ثناياها أن هؤلاء القوم حكمهم الأتراك لخمسة قرون متتالية ولطول هذه المدة امتزج الأتراك بالصرب وتزوج الكثير منهم من نسائهم مما جعلهم يعتقدون أنهم فقدوا نقاءهم العرقي بسبب دخول الأتراك العثمانيين كما يتهم الصرب البوسنيين المسلمين بأنهم خانوا الصرب عندما دخلوا في الإسلام دين الأتراك المحتلين"[٣٩]

وكانت النتيجة وحشية ويسترسل الكاتب ساخرا:" أتساءل ما الذي يجعل جنديا شابا في ريعان شبابه يتطوع بمحض إرادته في قوات الميليشيات الصربية المتطرفة؛ ليغزو بلادا ويقتل أبرياء وينشر الكدر على مرمى البصر؟...ما الذي أصاب نفسية هذا الشاب بكل هذا التشوه؟ إن من يقدم على إرتكاب أعمال بهذا المستوى من الوحشية لا بد وأن يكون مصابا بعاهة نفسية بالغة جدا ما الذي جعل هذا الصبي يفعل هذا ومما الذي يجعل والديه يباركان خطاه؟إنها العقد النفسية الموروثة جيلا بعد جيل إنه العنف الذي يتم تلقينه في البيت والمدرسة والشارع العنف الذي استمد شرعيته من العنف الأكبر الذي مارسته الدولة ومن استعداد النظام العالمي في ذلك الوقت لتقبله"[٤٠]

"وقد نجح تاليتش في توظيف الشخصيات النسائية توظيفا موفقا وبشكل استطاع أن يحول مشاعر المرأة إلى معان إنسانية مؤثرة ..حيث أضفت تنزيلا حبيبة الحفيد ومرجانة حبيبة الجد النكهة الرومانسية على الرواية التاريخية وهكذا أدخل تاليتش إلى النص جرعات كبيرة من الحميمية والشاعرية مازجا بين نعومة الرومانسية وصلابة التاريخ"[٤١]

وتعرض الرواية للأرملة التي مات عنها زوجها وهي عمته زيرينا وزوجها مهيو ، وما تلتزم به من عادات وتقاليد أهل البوسنة يقول" لكن ليس من التقاليد البوسنية أن تبكي على من فارق الحياة. وإذا كنت قد استطعت بحكم التقاليد والعادات أن تعتكفي طوال الليل تحت أقدام زوجك الميت إلى أن تستمر إخراج جثته من البيت فبإمكانك أيضا أن تتجلدي وأن الزميل

[٣٨] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٤٦٥.
[٣٩] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٤٦٦.
[٤٠] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٤٦٥.
[٤١] - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٨

نفسك بالكف عن البكاء لا تتخلي عن التقاليد ولا تتجاهلي العرف واحمدي الله لقد كنت في الجحيم والله تعالى سلمك وحفظك"[٤٢]

"مات عمك مهيو –رحمه الله وأسكن روحه الجنة– وقد أمضيت الليل بطوله وأنا منتصبة واقفة على قدمي كما هي العادة في بلادنا حيث لا تجلس الزوجة قبل أن يدفن زوجها ...قضيت الليل بأكمله واقفة تحت قدميه بعد أن فارق الحياة." [٤٣]

وبعد أن مات زوجها لم يتبق لها إلا ابن أخيها مرجان" آه يا عزيزي مرجان أنت وأنا فقط هو كل ما تبقى من عائلة جوزو في هذا العالم""[٤٤]

"يكشف إسنام تاليتش عن أهمية المرأة وموقع الشخصية النسائية في القصة التي يرويها من خلال شخصية مرجانة وأختها مونتسكيرا وزيرينا"[٤٥]

لكن عندما يأتي حديث الحب عن محبوبته" تنزيلا مهوردار "نجده جديثا ممزوجا بآهات الحرب ومنغصاتها وهو يصارع الموت من أجل البقاء ويتذكر الموت الذي يجثم على صدره حتى أنه تخيله يلتف حول خاتم الزواج حول إصبعه وكأن رائحة الموت لم تترك مكانا إلا وأحاطت به في سربرينينتسا يقول "هل من المحتمل أن يكون الموت قد التف حول إصبعي ؟هل منكن أن يلف الموت نفسه ويتسلل ليقبع كحلقة تحت خاتم الزواج بالضبط...استطاع أن يختبئ عني فقط تحت خاتم الفتاة(تنزيلا مهور دار) حبه الأول التي لم أتزوجها يوما الفتاة التي قضيت عمري أحلم بالزواج بها""[٤٦].

ناقشت الرواية واقعا مستلبًا مقهورًا بالرغم من محاولات البوسنيين المستميتة لصد عنفوان الظلم والإيثار لفئة دون أخرى لكن كانت الفظائع التي ارتُكبت في المذبحة في تسعينيات القرن الماضي تعد من جرائم الحرب،والإبادة الجماعية ضد الإنسانية وليس سربرينيتسا فقط..

المحور الثاني: إبراهيم الكوني ورواية ناقة الله.

هذه الرواية هي حكاية اللاجئين في كلّ مكان والتشرّد الذي أصبح ثيمةَ العصر الحديث.

براعة السارد في الانتقال بينها بكل سلاسة مما ساهم في شد انتباه القارئ على استكمال مسيرة الاستكشاف عبر لعبة الكتابة السردية وطرائق بناء النص وتشكّل الدلالة فيه. يشير

٤٢ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٨١
٤٣ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٧٦
٤٤ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٨٢
٤٥ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٣
٤٦ - إسنام تاليتش، قصة سربرينيتسا ،،ص٢٢

أمبرتو إيكو إلى التصور الإبداعي الذي يجعل من النص فرجة معرفية لا تنتهي عند حد، أو يحول المعرفة إلى وضعيات إنسانية ترقى على الفردي، وتتجاوز اللحظة العرضية الزائلة لكي تلج العام. (٤٧) .

يحاول الكاتب الليبي إبراهيم الكوني أن يعيد صياغةَ ملامح الواقع المكتنز بكم هائل من الأحداث الشائكة التي تطول البلاد العربية ونقف عند ليبيا حيث يرصد لنا الكاتب بعين لاقطة لوحاتٍ حية من البيئة الصحراوية الليبية ومجتمع الطوارق الملثمين وهي ممزوجةٌ بآهات الحياة ومنغصاتها.

نناقش الشتات في رواية ناقة الله يذكر أسيس البطل الرئيس للرواية تجمع الأحبة قبل الشتات " ففي أحد الأيام انضم لسجنه الجبلي خلّ الزمان بسّا ؛ لأنه خبر المكان أيام السلام التي لم يتخيلوا يوما، أنها منكن أن تنقلب كابوسا لم يطمع فترة اعتزاله أن يلتقي أحدا ينتمي إلى زمن ما قبل الشتات؟ فكيف بالتقاء إنسان ينتمي إلى القبيلة أيضا وجمعهما نجع واحد بل وكان في المراهقة قرينا؟!"*.(٤٨)*

يركز الكوني على تسليط الضوءعلى هُوية المجتمع الطوارقي من خلال ثنائيات: الاستقرار،الترحال، السلطة،العامة ، الصحراء، المدينة

يبدع في خلق نسق روائي صحراوي جديد طرحًا ورؤية وتوظيفًا، حيث ينطلق مشروع الكوني من المادة المتخيلة باتجاه الماضي؛ ليستعين بأحداث مختلفة وآليات متباينة في القص :الحكاية الشعبية ،الأسطورة ، الخرافات ،السحر، الرؤى الصوفية ،الكتابة الطارقية المنسية ،الرسم ،القرآن الإنجيل التوراة ، التاريخ وكلها نصوص متشظية يزخم بها عالمه الروائي.

تدور أحداث الرواية في فترة الستينيات من القرن العشرين وهي حقبة تاريخية مهمة في حياة قبائل الطوارق، إذ قُسمت "تينبكتو" مملكة الطوارق بين أربع دول هي ليبيا، والجزائر، والنيجر ،ومالي، وفقًا لمصالح فرنسا التي كانت تحتلها، وبسبب ذلك هُجِّر عدد كبير من الطوارق من وطنهم الأصلي؛ ليعيشوا فصول الشتات والاغتراب.

---

(٤٧)، *أمبرتو ايكو ، آليات الكتابة السردية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار، سورية ، ٢٠٠٩ ، ص١٢*

٤٨ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١١٣

تتناول الرواية المذابح التي ارتكبها بالطوارق السفاح"موديبوكيتا"، أول زعيم لجمهورية "مالي" بعد حصولها على استقلالها، إذ قاد حملةً شرسة ضدهم، فسجن قسماً، وقتل قسماً آخر، وأصبح قسم ثالث في عداد المفقودين ،وكيف أنهم أصبحوا غرباء في أرضهم وصار لزامًا عليهم أن يقدموا برهانًا على انتمائهم إليها وثائق ثبوتية لا يملكونها، وأن يدفعوا كل ممتلكاتهم مكوسًا ويحمدوا الله أنهم لم يخسروا حياتهم أيضًا. "أضحت المطالبة بالهوية الثبوتية من أناسٍ كانوا منذ الأزل أطيافًا في أكبر أوطان الأرض مساحةً ذريعة للإيقاع بالقوافل، وسبباً قانونياً لإيداع أصحابها في السجون بعد مصادرة أرزاقهم""[٤٩].

تناقش الرواية الحنين إلى الوطن المفقود، فالناقة "تاملالت" تتوق إلى ذلك الوطن الذي ولدت فيه، أمضّها الشوق، وأضناها الوَجد، وصارت تصارع كل شيء كي تعود إلى "الفردوس المفقود"، لكنها كانت أشجع من أسيس صاحبها الذي لم يتجرأ على العودة، هربت منه، متجهةً صوب مستقر القلب، ولم يحتج هو إلى الكثير من الذكاء ليدرك وجهتها، فمضى في إثرها، في رحلةٍ فجّرت أسئلةً موجعة عن معنى الوطن، والانتماء، والمنفى، والاغتراب، وذلك السرّ الغامض في شعور الكائن الحيّ تجاه المكان، "ولكن شيئاً يسكننا، لا بدّ أن يستيقظ فينا ليستنكر حجّتنا. شيئاً لا اسم له، ولا لسان له، ولا كيان له، ولا يعترف بمنطق ولا برهان، لأنه نداء. إنه النداء الذي لا يعترف بالأرض ما لم تكن أرضه، ولا بسماء ما لم تكن سماءه، ولا بنجوم سوى نجومه، ولا بشمس ما لم تكن شمسه، ولا بروح ما لم تكن روحه، لأنه في الحقيقة هو الروح التي تسكننا، وتشدّنا إلى هذا المكان وليس ذاك المكان، إلى هذه الأرض وليس إلى تلك الأرض، إلى هذه السماء وليس إلى تلك السماء"[٥٠].

الحنين للوطن" هو أسوأ من نزيف الدم.كان ينزف روحا ،لم ينزف روحا تعاطفا معها ،ولكنه نزف روحه توقًا للحلول في الوطن فكم مرة ساءل فيها نفسه عن سر هذه الأحجية المسماة وطنا؟كم مرة جاهد في تفكيك هذا الطلسم بلا جدوى؟ألا يكفي أن الأرض هي الأرض في كل مكان ؟ألا يكفي أن نتحمم بفيوض الشمش أينما نزلنا؟ألا يكفي أن نجد أنفسنا بين الناس في كل مكان،وتكون لنا فرصة أن نتخذ من الأنعام أقرانا إلى جانب الأنام؟[٥١]

يستعيد إبراهيم الكوني في روايته ناقة الله تيمة الخروج من الوطن، والتّيه في الصّحراء بحثًا عن جنّة مفقودة، البطل في نصّ الكوني الرّوائي هو النّاقة تاملّالت، التي شكّلت محرّك

[٤٩] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٤
[٥٠] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٢٢
[٥١] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٤٧

البحث عن وطن أُخرِج منه الطّوارق عنوة بعد تقسيم الصّحراء الكبرى وتعود أحداث الرّواية إلى ستينيّات القرن العشرين، على عهد حكومة موديبوكيتا التي قمعت الطّوارق بشدّة، وزجّت بمعظم نشطائهم في السّجون.

"مودبيوكيتا" الذي نصبه المحتل حاكما على كذبة مالي ، قد أفلح في التوسط بين الجارتين الشماليتين نوميديا ،ومراكش؛ ليذلل آخر عقبة في طريق المؤامرة المبيّتة ،وهو لم يكن؛ ليتم بدون إيعاز من أسياده، وأولياء نعمته الفرنسيين".[٥٢]

وارتكب مجرم الحرب هذا أفظع الأعمال الوحشية أمام أطفال المعتقلين لم ينظر لملامح البراءة التي تكسو ملامحهم حيث"كانت حكومة الممسوس موديبوكيتا من قام بسحق العزل بالدبابات...سجنوا الرجال في معسكرات الاعتقال.شردوا الأشباح والنساء والاطفال منعوا ارتداء اللثام بوصفه تنكرا للقيام بأعمال تخريبية ضد السلطات ثم افتتحوا المذابح بحشد طابور الأكابر، وتوقيفهم في العملية التي عرفت بقنص السبعين دمية حيث اقتحم الجنود نحوها اعتقلوا فيها سبعين رجلا من أخيار القوم أوقفوهم في صف واحد أمام أبنائهم الصغار الذين قالوا لهم إنهم سيقومون بلعبة وعليهم أن يصفقوا كلما سقطت في الصف دمية فكان الأبرياء يصفقون كلما هوى رجل برصاص الجند ظنا منهم أن الأمر لعبة وسوف ينهض بمجرد انتهاء اللعب ولم يدرك الأشقياء حقيقة ما حدث إلا بعد غياب الآلاف من حياتهم إلى الأبد".[٥٣]

ويحيلنا الكاتب إلى مكر المستعمر وخداعه فلم يجد سبيلا لقهر أسيس إلا بقتل الناقة في صورة غرائبية تكشف نا عن كابوس مخيف تخيل فيه أنه فقد ناقته أو بالأحرى محبوبته.

"ألم نخبرنا بوجود كنوزك في أحشاء هذه الدابة؟سوف نستخرجها لك مقابل أن تدلنا على مخبأ كنوز الفقيه التي سرقها جده منا... هرع إليها ليحتويها بين زراعيه يلثم وجهها بشفتيه ثم يتفقد النحر وكل الجسم المنتصب بين يديه بحثا عن طعنة النصب أو أثر الدم جاب بيديه البطن بحثا عن الجوف المبقور حيث المستودع الذي يخزن الكنز كان ما زال يلهث ويتزلزل برعدة عندما أدرك أن المذبحة لم تكن سوى رؤيا عاصية في كابوس مميت".[٥٤]

---

[٥٢] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٥٦

[٥٣] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١١١

[٥٤] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٢٣٩

يُذكّر أسيس و تاملّالت في رحلتهما المضنية بخروج آدم وحوّاء من الجنّة، حيث يمزج الروائي بين الواقعي والأسطوري في النص، وتنتمي غالبيّة الأحداث المتعلّقة بالنّاقة تاملّالت إلى الغرائبية فهو "لم يعرف لنفسه خلاً سواها، ولم يجد لنفسه مخلوقًا يفهم له منطقاً غيرها" يطرح من خلالها مسألة حبّ الوطن والتّعلّق به، ويرى المنيّة في رحابه أهون من العيش بأمان خارجه ،لا حياة خارج الوطن ". "وجود الفرق أن يعيش الإنسان ،وأن يحيا الإنسان،فإنسان المنفى لا يحيا ،ولكنه يحيا على أمل أن يحيا...فكل شيء في دنياه مؤجل،كل شيء مدسوس في المستقبل الزمان بغياب الأوطان ليس زمانا"[٥٥].

الناقة تاملالت التى يقول عنها ساهو: "كلنا نحلم بكسب ود دوابنا ، كلنا نصادق مطايانا ، ولكن يجب أن لا نستسلم لأحلامنا فنصنع من أنعامنا معبوداتنا""[٥٦] ، تحضر الناقة برمزية تحيل إلى أهمية الأنثى ودورها القيادي في المجتمع وتمثل ناقة الكوني الأم النبيلة الطيبة التي رأت قومها قد تفرقوا، وفي ذلك إحالة إلى أمومية المجتمع الطوارقي ، واسم الناقة في الرواية " تاملّالت و التي تعني بلغة الطوارق" الجاموس البري، ولكونها ناقة حرة تمردت على راعيها ؛لتسلك طريق العودة إلى النبع الجاف والرمل الذي نشأت فيه ،والتي شكّلت محرّك البحث عن وطن، تتوق حنينًا ووجدًا إلى الوطن، وتصارع كل القيود والعراقيل كي تعود إلى أرضها، دون أن يجد راعيها ومحبها أسيس ترياقا يشفيها من حنينها الموجع إلى الوطن ،" فقد قطعت كل عقال"[٥٧] ، ولم ينفع معها أي قيد "ففي اليوم الذى تلبّسها الشّجن و يمّمت نحو الجنوب؛ لتمكث في هذا الوجود أيّاما كان هو ينزف دما ، بل ينزف بما هو أسوأ من نزيف الدم ،كان ينزف روحا لم ينزف روحا تعاطفا معها ،ولكنه نزف روحه توقا للحلول في الوطن ،""قصص كثيرة رددها رواة القبائل عن طباع الإبل في الحنين إلى الوطن ولكنه لم يتخيل هذا الجنون إلا يوم تنكرت له على مشارف الحمادة عندما حاول أن يعيدها إلى صوابها فهاجمته في نية لسحقه تحت الكلل وعليه أن يعترف أنها لقنته درسا في التوق إلى الوطن وهو الذي تغنى بهذا المعبود...الوطن هو تلك الأحجية العصية التي لم يجد لها تفسيرا." [٥٨]... فكم من مرة ساءل نفسه عن سرّ هذه الأحجية المسماة وطنا. تتصاعد أحداث الرواية كمعزوفة شجية تفيض بالشعر والحنين، وبالأسئلة الروحية والفلسفية الموجعة

[٥٥] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٥٠
[٥٦] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٢٤
[٥٧] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٤
[٥٨] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٣٦

عن معنى الوطن، والحرية، والعدالة، يتداخل فيها الواقعي بالأسطوري حيث تنتمي غالبيّة الأحداث المتعلّقة بالنّاقة تاملّالت إلى الغرائبية.

الناقة "تاملالت لم تعترف يوما بانتمائها إلى سالة البعير كيف تعترف بهوية الأنثى...أم أنه هو من لم يعترف لها بهذا الانتماء فكيف يعترف لها بهوية الأنثى التي لم تنتم لها في عرفه هو ،ولم تفعل هي ما يوحي باعترافها بما لم يرده لها لماذا يخشى أن يعترف بأنه هو من شاء لها أن تكون بلا هُوية بلا جنس بلا انتماء؟"[٥٩]

فهو "لم يعرف لنفسه خلاً سواها، ولم يجد لنفسه مخلوقًا يفهم له منطقاً غيرها" " أسيس الطليق اليتيم الذي فقد الأب ثم الأم اكتشف في تلك اللحظة أن لديه ما يخسره والدليل أن طيفه تجسد في سجنه ...طاف جوله الطيف في غمضة فسرى في البدن كالشلل فإن يفقد تاملالت كان الإحساس الذي لم يخطر له على بال"[٦٠]

يطرح من خلالها مسألة حبّ الوطن والتّعلّق به، ويرى المنيّة في رحابه أهون من العيش بأمان خارجه فلا حياة خارج الوطن." لأنه في الحقيقة هو الروح التي تسكننا وتشدنا إلى هذا المكان وليس ذاك المكان، الخلاصة أنه المعجزة هو المعجزة الوحيدة التي لا يدرك كم هي إعجاز إلا من ابتلته الأقدار فحملته منها؟"[٦١]

"يستطيع أن يعترف أن القدرة على هذا الطواف صار له في منفاه بصحاري الشمال عزاء أجاره من البلية التي أصابت نصفه الثاني بالشلل ،لأن الحنين هو داء بلا ترياق حقا،والطواف كما يبدو هو الحيلة التي أعجزت تاملالت كي تستعين بها على الانقطاع الطويل عن صحاري آبر في أوطان الجنوب"[٦٢]

"ولكن المفاجأة كان في غياب طريدة الزمان. كان في غياب ناقة الله من المحفل .فهل ختلته لتشرد في موقع المبيت،أم رافقت القافلة قبل أن تنفصل عنها لتنحدر نحو الجنوب؟ ...فكيف تراهن ناقة الله على خداعه إذا كان الحدس في دنيا الصحراء هو دليله"[٦٣]

" الواقع فهو المذنب لكل ما حدث ،فهو من انشغل عنها فلم يناجها بما يكفي؛ ليعزيها في محنتهما المشتركة وليشرح لها أنهما لم يفرا من الوطن لمجرد طلب النجاة من بلاء الوطن

---

٥٩ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٥

٦٠ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٥٨

٦١ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٤٧

٦٢ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٧

٦٣ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٠٠

ولكن لانقاذ الوطن..."فالمهاجرون لا يهجرون الأوطان لكي يتنكروا للأوطان ولكنهم يغتربون لكي يجبروا الأوطان يغتربون لكي يخلصوا الأوطان"[٦٤]

"إنه نزيف الروح لأن الحنين إلى الوطن وحده لا يعترف بغير الروح نصيرا ولا بغير الأناشيد عزاء"[٦٥]

" كم مرة قرر أن يرمي بنفسه في التهلكة ؛لأن المنيَّة في رحاب جنة اسمها الوطن أهون من حياة الأمان خارج الوطن ،فما ظنه النجاة عندما أفلت من بنادق أشباح "موديبو كيتا" كان في الواقع السجن الذي اختاره لنفسه فالفرار طلبا للحرية خارج الاوطان سجن كما القبول بالسجن أو حتى بالموت داخل الأوطان حرية! ويستطيع أن يؤمن أن الأيام التي قضاها خارج الوطن لم يعشها في الواقع ولهذا ليس من العدل أن تستقطع من العمر،لأنها لا تختلف عن الحبوس"[٦٦]

"لقد ظل يعزي نفسه بمناجاة حميمته العجماء طوال تلك الأيام التي استجار فيها بغيران الجبال طلبا لأبسط جق في هذه الصحراء الجاحدة وهو الأمان ... يخرج تحت جنج اظلمات في الليالي ويختفي عن الأنظار في النهارات كالودّان أو كالذئاب أو بالأصح كالفئران"[٦٧]

يسأل"فكيف يسمح الله بذبح الأبرياء؟ أيعقل أن يقف الله موقف المتفرّج وهو يرى الأبرياء يُنحرون كما تُنحر ضحايا العيد؟"

" إذا كان الله عادلا كما يقول الفقيه المسكين فكيف يسمح بذبح الأبرياء ؟إذا كان الله قاهرا لماذا لا يفعل ما من شأنه أن يردع العدوان؟ أيعقل أن يقف الله موقف المتفرج وهو يرى الأبرياء ينحرون كما تُنحر ضحايا العيد؟...هل يكفر إذا تساءل عن سر خصام الله مع الأبرياء مقابل تسامحه مع الأشرار لمجرد أنهم أقوياء"[٦٨]

""ألم يخذل الله الفقيه أيضا ويكافئه بسلخ الجلد لقاء الإيمان ،بل ولقاء الدعوة لإعلاء شأن الإيمان؟أم أننا ندفع من خطايا لا ذنب لنا فيها لمجرد أن أسلافا ارتكبوها يوما ما وعلينا تسوية الدّين؟|"[٦٩]

---

٦٤ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٣٩

٦٥ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٣٩

٦٦ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٤٧

٦٧ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١١٨

٦٨ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١١٩

٦٩ - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١١٩

"سأدلكم على موقع الذهب الذي أخبرني به الفقيه نقل الترجمان العبارة فحرروا يديه نهض واقفا وسار بهم نحو الخندق عبر وعبر وعبر مستغلا المسّ الذي يصيب كل مهووس بالكنوز فيصاب بعماء البصيرة إلى جانب عماء البصر هيمنت الظلمات ولكن حبل السبيل لم ينقطع استودعهم أحد الكهوف وانحرف في ركن ليقضي حاجته وكان هذا الركن آخر عهده بهم أو بالأصح آخر عهدهم به".[٧٠]

وبعد نجاته عرف المعنى الحقيقي لعدالة السماء فالله لا يسمح بذبح الأبرياء كما توهم من قبل ويأتي عقاب الله ليزلزل القوم الظالمين "فإن عدالة السماء أنصفتنا في بليتنا الأخيرة أيضا كما أنصفتنا في بلايانا الكثيرة طوال تاريخ صحرائنا الطويل ؟هل نسيتم ما حلّ بصاحب نوميديا...." .[٧١]

"انسل من هناك عائدا إلى أن بلغ موقع ناقة الله في قاع أحد المسارب السرية توجها بالزمام وقادها عبر المسارب أعانها في عبور المضيق ..." .[٧٢]

" أبناء صحراء الآن فقط يستطيعوا أن يتباهو بأنهم أحرار ! الآن فقط تستطيع أن تقبلهم الصحراء في بلاطها...هم الآن أحرار..." .[٧٣]

"ولا يذكر من أشار بوجوب اللجوء إلى آزجر ،ربما "بكة"وربما " بسا" قال إن آزجر كانت قبلة الجنوب منذ الأزل تلوذ به القبائل كلما حاق بها مصاب ،فيجير القبائل إلى أن ينجلى المصاب. قال أيضا إن هناك يسود السلام منذ انسحاب الطليان،وشاحنات التجار لم تتوقف إلى هناك ؛لأن حكومات الأشباح في الجنوب لا تملك الشجاعة الكافية كي تستفزّ مواطنين ينتمون إلى حكومة ليبيا".[٧٤]

أسيس يقول " أما هو فقد اعتصم بالجبال يتسقط الأخبار من بعض الفارين من هذا الطرف أو ذاك عن الحفلات الجماعية لاصطياد كل من تجرأ وتقنّع بلثام.روى هؤلاء قصصا لا تصدق علّ أصغرها فقيه نجعهم الشقيّ الذي وقع في قبضة مفرزة يقودها ضابط ممسوس

[٧٠] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٣٠
[٧١] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٢٣٧
[٧٢] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٣١
[٧٣] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٧١
[٧٤] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٧٣

مارس في حق الفقيه صنوف التنكيل لا لذنب إلا بسبب لون الجلد وتهمة إخفاء كنوز مزعومة".[٧٥]

أما صديقه بولايحذرهم "بولا في ذلك اليوم هو الذي نبّه بوجوب انتهاز الفرصة الفرار من كل الواحات أو الأمكنة قبل أن يستشرى في جسم الصحراء المرض الخبيث! "[٧٦] ...

" ولكنه يذكر أن بولا هو من اعترض عن اقتنائهم السلاح ...ولكن بولا طأطأ بحزن قبل أن يجيب:أن نموت مسالمين أفضل من أن نموت مهزومين لأن البنادق لن تنال من الغول المسمى دبابة حتى لو وجدت حيث تناقلت الأنباء عن استخدام السلطات لهذه المسوخ المنكرة لسحق احتجاجات في تينيكتو وأجاديز سقط فيها عشرات القتلى ".[٧٧]

"خرجوا من معسكر الأشباح؛ ليكتشفوا أنهم عرايا:بلا متاع ،بلا قافلة،بلا بضائع،بلا قوت،بلاماء،بلا أي شيء يصلح عونا في البلوغ بهم إلى بر الأوطان ،باستسناء الملابس التي تستر أجسادهم".[٧٨]

ولا ينتج حصاد الشتات إلا المفقودين أو بمعنى أدق الشهداء الذين قتلوا ظلما يقول أسيس عن صديقه " بسّا حدثه عن ظاهرة جديدة في نكبة الصحراء وهي جيوش المفقودين الذين لا يعرف أحد عمّا إذا كانوا أحياء أم مواتا والواقع أن ذوي قربى هؤلاء هم من اخترع هذا الاسم لكي يوهموا أنفسهم بأن مفقوديهم ما زالوا أحياء في مكان ما يرزقون..." .[٧٩]

وتعلو نبرة الأحداث؛ لنقف عند عقدة الرواية يحكي أسيس بكل حزن عن زمن البطولة الخادع ورحلة البطولة عبر الماضي والحاضر يقول:"وفي آزجر طوال الغزو الوحشي الفرنسي الذي أباد فرسانا كانوا عصب الأمة الصحراوية الشقية لتنكسر شوكة الأمة منذ ذلك التاريخ بسبب عبادة البطولة ،التي لم تكن لتكون سوى روح الانتحار التي جُبلت عليها الأجيال منذ الأذل ،وكانت السبب الوئيد الذي زعزع الكيان كله ؛ليشرف على الزوال من رحاب الصحراء لا لشيء إلا لأن عقلاء الزمان لم يحسنوا استخدام العقل، بقدر ما أحسنوا استخدام الذراع،لم يكتفوا بهذا بل جنوا علينا نحن أيضا فصيرونا بهذه العقلية جيلا ضائعا وإلا لما وجدنا أنفسنا في مثل هذا اليوم العصيب نقف مكتوفي الأيدي! .[٨٠]

---

[٧٥] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١١٣

[٧٦] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٠٤

[٧٧] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٠٥

[٧٨] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص٧٠

[٧٩] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١١٣

[٨٠] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٠٦

" يقول أسيس"علمونا أن نتغنى بالبطولة وغاب عنا أن البطولة الجديرة حقا بلقب بطولة هي أن تركن إلى السلم لتتفاهم بالتي هي أحسن،لأن السلم مهما كان سيئا فهو أفضل من حرب حتى لو توجت بغلبة".[٨١]

وتعلم كثيرا أسيس في منفاه وعرف المعنى الحقيقي للعشق بل المعنى الحقيقي للحياة "في عشق رب الإنسان والآن فقط اكتشف أن أي حب غير حب الله هو شرك بالله وليس القربان في حب الله!" .[٨٢]

كشفت لنا روظنم نعو ،قيريبعتلاو قيعوضوملا اهتالكّشت عونتت قيليثمت ةقاط نع قياورلا يمحلملا عباطلا تاذ ثادحألا نم ةعومجم هتافوشكو هتءارق لثمتت يدرس

المحور الثالث: الكاتبة الفلسطينية "نردين أبو نبعة"وروايتها، "ربِ إني وضعتها أنثى" .

الرواية يمتزج فيها الاجتماعي السياسي ، بالخيالي الروائي في تشريح للواقع العربي العراقي من خلال أحداث زخمة التصقت بالرواية.

لكن هذا لا يعني الاكتفاء بنسيج الخطاب الروائي وحسب؛ فما تحكيه الرواية يشير بالضرورة إلى معنى خاص، مرتبط بهوية الشخصية الروائية، وبالأحداث التي تقوم بها أو التي تقع عليها، وأن ذلك يجري في مكان وزمن أو محيط بشري اجتماعي له خصوصية ما؛ لأن: " بدون سؤال الحقيقي يبدو حقيقي الرواية أو حقيقي الفن سلطوياً مستبداً، وأحياناً مطلقًا"(٨٣). في إشارة إلى الأسلوب الإيحائي الذي تتحول فيه أحداث بعينها إلى حالة فنية من جراء ضيق هامش الحريات المدنية والسياسية، والخشية من عواقب الجهر.، وهو ما تعلن الرواية في أكثر من موقع استعداد الروائي للتخلي عنه.ففي الأدب لا نكون فقط بإزاء أحداث أو وقائع خام، وإنما بإزاء أحداث تقدم لنا ضمن مستلزمات تعبيرية معينة" [٨٤]

نقف عند الشتات الفلسطيني التي تحكيه أنثى ،ومن دوافع الشتات "النسويَّة حيث"يكون المنفى والشتات دافعًا للمرأة للخروج من أزمتها الأنثوية ،ومحاولة إثبات ذاتها حيث تتقاطع تجربة الشتات بوصفها مجالا لمصادرة الهُوية السياسية مع مجال الهوية الجنسوية الثقافية

---

[٨١] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٠٧

[٨٢] - - إبراهيم الكوني، ناقة الله، رواية،،ص١٩٣

(٨٣). *يمنى العيد، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨. ص ٢٦، ص٣٣*

(٨٤)*عبد الله ابراهيم ، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص٦٦٦.*

للأنثى أو عدم المساواة الجنسية في حين تبقى بعض الكتابات رهينة هاجس العودة للوطن أي رفض الأوطان البديلة[٨٥]

إن الأدب الفلسطيني أسهم بشكل واضح في تعريف العالم بقدرة الفلسطيني على الإبداع والتميز بالمشاعر الإنسانية، والاطلاع والتمسك بالهوية العربية دون تعصب ودون بكائيات، أو تضخيم لحجم المأساة التي يعيشها الفلسطيني مطارداً من الأنظمة العربية، التي تنكر عليه فلسطينيته أحياناً وتجبره على التنكر لها.

"الحرب الفلسطينية الإسرائيلية سنة١٩٤٨ هي في نظر الإسرائيليين حرب الاستقلال بينما بالنسبة إلى الفلسطنيين ستظل إلى الأبد النكبة فبالإضافة إلى نشوف دولة إسرائيل أدت الحرب إلى واحد من أكبر التهجيرات القسرية في العصر الحديث إذ طرد نحو مليون نسمة من بيوتهم بقوة السلاح وارتكبت مجازر بحق المدنيين ودمرت مئات من القرى الفلسطينية عمدا ومع أن الحقيقة بشأن الطرد الجماعي الهائل شوهت وجرى طمسها بصورة منهجية فإنه لو كان حدث حدث في القرن الحادي والعشرين لكان سمي تطهيرا عرقيا".[٨٦]

"."لقد تمكنت الصهيونية بواسطة خطاب الشتات من نفي الشعب الفلسطيني وتشتيته خارج أرضه التاريخية وهذا ما أنتج الشتات الفلسطيني"[٨٧] "لأنهم تعرضوا لشتات معقد حيث انقطعوا عن البنى الشعورية مع المحيط العربي""[٨٨]

رواية "رب إني وضعتها أنثى" تجعل المرأة ذاكرة المقاومة حيث تأخذك من الصفحة الأولى للرواية بحروفها إلى شاطئ غزة المحاصرة؛ لتحكي للقارئ من هناك وعلى لسان ثلاث أبطال يتناوبون السرد ..حكاية الغربة والشتات والأسر في سجون الاحتلال والحب والحياة والموت والميلاد والمقاومة والأنثى التي تورث المقاومة ..ولتنثر وبعفوية حكايا الطفولة المنفية .

تنقلنا الكاتبة من الزاوية الشرقية في فلسطين إلى الزاوية الغربية في ليبيا، ومن سجن عسقلان إلى الجليل، ثم تحط معها رحالنا في غزة كأنها المرفأ والملاذ الأخير الذي

(٨٥) رامي أبو شهاب : ،الممر الأخير"سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كو لونيالي،المؤسسة العربية للدراسات والنصر، لبنان ط١ ،"٢٠١٧م ص١٢٦.

٨٦ - إيلان بابه (مؤرخ إسرائيلي) التطهير العرقي في فلسطين ،ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،بيروت ط١ ،٢٠٠٧م، ص٣

(٨٧) رامي أبو شهاب : ،الممر الأخير"سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كو لونيالي،المؤسسة العربية للدراسات والنصر، لبنان ط١ "٢٠١٧م ص٣١.

(٨٨) رامي أبو شهاب : ،الممر الأخير"سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كو لونيالي،المؤسسة العربية للدراسات والنصر، لبنان ط١ ٢٠١٧م "ص٣١.

سينتشل الفلسطيني الجريح ويرقأ دمعه. عند ذلك الشاطئ وجدت «مريم» الراحة، ووجد «أبو رجا» الدواء المر الذي يشفي، ووجد «عباس» حلمه في الكرامة المراقة.. عند تلك الأرض التي حوّلها أهلوها إلى أسطورة، تمعن الكاتبة في إغراقنا في بحرٍ لتخيُّل مدينة «طوباوية» مثالية.. إنها الحلم والحقيقة.. الواقع والخيال.. المنامات واليقظة.. الأجاج والعذوبة... إنها من تغيرّ مجرى القلم، بل مجرى الحياة كلها بلمح البصر.. بها ابتدأت فكانت الكلمة «الأولى»، وبها اختتمت فكانت «الروح والريحان» بطعم الزيتون والبرتقال.

يتناوب السرد في هذه الرواية ثلاث شخصيات (الأب، والابنة، والعم)، وترتبط الأحداث بخيط رفيع شفيف لكنه قوي ولامع!

تفاصيل جمّة، وأحاديث ثرة عديدة تتكئ على أيقونات الوطن الهارب، والكرامة والجرح الفلسطيني والعربي!

أول ليلة غربة يحياها البطل عباس، وأول ليلة وطن تحياها ابنته مريم، يرحل النوم، ويتجلى الأرق والسهر والعذاب والشجن، مختلطاً بدمع يتجه إلى الداخل، يحرق الأنفاس، أو يشعلها ثورةً وصمودا "وأنا يا أبي مثلك تماماً، لم تغمض لي عين! لم أنم أول ليلة وطن! "[٨٩].

تُغرينا الكاتبة تُغرينا بالوطن، بالحب.. بالتضحية.. بتذوق طعم الشوك والورد. هذه الرواية تُعيد لنا فلسطين ببرتقالها وبحرها ورملها الذهبي. إنها تُسقط فلسطين بين يديك فتتلمسها بأصابعك فتشعر بنبض قلبها وتشتمّ عبق دمها: "ما أصعب أن يكون وطنك في يديك ولا يكون! "[٩٠].

بطلة الرواية مريم تلك الفتاة الفلسطينية التي عاشت في تربة سبخة مالحة (المنفى) ها هي تعود إلى أرض الوطن الذي تحمله في ذاكرتها من حكايا أبيها المنفيّ وعمها الأسير في سجون الاحتلال: كنتُ أركض وراء حروف أبي، أتعلّق بذيل كل كلمة كما يتعلق الصغير بذيل أمه وكأنني كنتُ أُطارد وطناً في ثنايا الحروف! أركض بين الحروف والكلمات لعلي أبصر ما لم أبصر وأسمع ما لم أسمع""[٩١].

هذه الرواية ترد على اتهامات روّج لها الصهاينة مثل بيع الفلسطيني أرضَهُ. وهي شهادة على آلام الفلسطيني ومعاناته في منفاه، وعذاباته في سجون الاحتلال، وهي توثيق

---

[٨٩] - - رب إني وضعتها أنثى ص٥٩.
[٩٠] - - رب إني وضعتها أنثى ص٢١.
[٩١] - - رب إني وضعتها أنثى ص١٢.

للعودة أيضا، حيث تمتزج عودة الكاتبة إلى غزة بجدائلَ من واقعٍ سمعته من أبيها وعمها.. إنها تجسّد قلب الأم الفلسطينية التي تدفع بابنها إلى الشهادة.. ذلك القلب الذي يظنه الناس حجرًا فإذا به خنجر ينغرس في جسد العدو.

الأم هنا ليست ككل الأمهات، فهي التي دفعت أولادها إلى المقاومة! شيء عجيب وغريب.. كأنها استبدلت حجرًا بقلبها الذي سكن في الجهة اليسرى!

أعترض وأقول: أعتقد أنها استبدلت بقلبها الذي في الجهة اليسرى وطناً يشبه الخنجر! "[٩٢]

تعرض الكاتبة مشهد قطف الزيتون في فلسطين وتربطه بمشهد شبيه في ليبيا: «لملمةُ حبات الزيتون عن البساط تشبه الثرثرة بين الحبيب والحبيبة، فجدتي كانت تجلس تحت الشجرة، تتلقف الحبة المتدحرجة، تدللها، تحنو عليها، تسيّجها بيدها، تُشعرها بلمستها الناعمة، تنظف الحبة من الأوراق والأغصان العالقة بها ومن التراب والشوائب. "[٩٣]

بل إن الكاتبة تكاد تشبك يدها بأيدي نساء البلد؛ لتشاركهن الاحتفال بزواج أبو رجا، ترفع الدفّ، تضرب عليه، فيما تتجاور نساء البلد في حلقة الدبكة.

"أتخيل نفسي أخرج الدف، أضرب عليه.. أدبك مع نساء البلد كما دبكت جدتي يوم عرس عمي، أزغرد، أُهاهي وأغني وأخرج الكاميرا لألتقط الصورة التاريخية، لقاء مؤمنة وبلال."[٩٤]

تحكي الكاتبة قصّة عرس عمها المخزنة في سراديب الذاكرة بقصّة حبّ مؤمنة، وبلال في غزة.. تلك القصة الممعنة إدهاشا ومفاجأة. ففيها تحبّ الفتاة الفلسطينية أسيرًا من دون أن تراه: "لكنها أحبته من دون أن تراه، وهكذا هي المرأة الفلسطينية، تحترف الحب المدهش والموت المدهش.

هذا الحب المختلف الذي جعلها أرقّ وأصفى: "هناك حب كحبها.. طَهور كماء السماء، زكيّ كما الريحان، نديّ كزهر اللوز، ناعم كشمس الربيع، يضيف إلى العمر عمرًا [٩٥] .

وتُدهشنا بحكاية جدتها التي تزور ابنها «أبو رجا» في السجن، وتربطها بحكاية أم الأسير «حسن سلامة»: «لعبة الكتابة لعبة لذيذة، لكنها في أحيان كثيرة تنقلب من حلم إلى

[٩٢] - - رب إني وضعتها أنثى ص٦١.
[٩٣] - - رب إني وضعتها أنثى ص٦٥.
[٩٤] - - رب إني وضعتها أنثى ص٨١.
[٩٥] - - رب إني وضعتها أنثى ص٨٥.

كابوس حين تختلط الصور والأحداث وتنتقل المشاهد من الورق إلى الواقع وليس العكس! هذا ما حصل معي عندما رأيت أم حسن سلامة! ها هي جدتي صفيّة تخرج من الورقة التي كتبتها عن زيارتها لعمي (أبو رجا) لأراها واقفة بلحمها ودمها أمامي! "[٩٦] .

مع سطور الرواية نعيش تجربة الغربة ونتذوق طعمها: "الغربة صباحها وحشة بلا رائحة قهوة، وليلها رسائل مقروءة وقُبَل منتظرة، وخطايا مخبأة، أنفاس مرتعشة.. عتاب.. آهات.. نصفها جنون وجنونها عقل!"

وكلما توغلنا أكثر في الرواية، شعرنا بنبض الشخصيات وحياتها.. إنها طريقة الكاتبة في تخليد الأسماء والمواقف والأماكن، إذ ندخل معها إلى السجن، نعيش التجربة بمرارتها وحلاوتها أيضاً، فللسجن حلاوة من نوع آخر: «السجن يعلّمك ألاّ تنظر في منفضة السجائر، كما أنها تجربة للاحتراق، بل إنها بقايا نار تحت الرماد صالحة للاشتعال مرة أخرى! "[٩٧]

في السجن تتعلم ألاّ تصوغ فكرتك.. منهجك في ضوء تجارب الآخرين.. فليست الحكمة دوماً أن تتعلم من تجارب الآخرين.. ذلك أن النتيجة التي نصل إليها عبر الآخرين تشيخ وتموت مبكراً . "[٩٨]

في الرّواية، تظهر روح الكاتبة الشّفيفة، من خلال ما يتناقله كثيرون بأنّ الفلسطيني كان دائب البحث عن نفسه ،وعن مجده الغائب وحلمه الضائع بالعلم أو الهجرة أو جمع المال.. إذ ترى الكاتبة ذلك استبدالاً باهتاً مقابل تمسك العظماء بأرضهم واختيارهم المقاومة والجهاد!

من صباحٍ مختلف أطفأ نار الشك حتى غدا القلب يقيناً: "إنه الصباح الأول في غزة، حيث البحر يجيد الغناء ويحتسي خمر الغياب"[٩٩]

إلى المساء الأخير في غزة: لا شيء هنا إلا ويشدك إلى ذراعيه، يشبك يديه بقوة حول الخاصرة ليزرع فيك شوقاً وناراً ووردا وانتصابا.[١٠٠]

---

[٩٦] - - رب إني وضعتها أنثى ص١٧٨.
[٩٧] - - رب إني وضعتها أنثى ص٢٠٥.
[٩٨] - - رب إني وضعتها أنثى ص٢٠٥.
[٩٩] - - رب إني وضعتها أنثى ص٥٨.
[١٠٠] - - رب إني وضعتها أنثى ص٢٤٠.

مريم.. تجمع الحكايا لتلقيها في عربة الذاكرة: «ها أنا أجمع الحكايا، أربطها كحزمة بخيط من نور وشوق، ألقيها في عربة الذاكرة لتعود إليّ محملة بروائح الياسمين وزهر الليمون والبرتقال."[١٠١]

حين أغلقتُ البرتقالة (الرواية) التي أهدتها مريم لأبيها وعمها ونظرت إلى الغلاف، تبددت أمامي كل الغيوم وذاب الغبش.. إنها هي.. أنثى البرتقال.. أرض البرتقال.. بذلك الحنو والرقة (...) كان البرتقال يزحف.. يعيدني إلى حكايا أبي عن برتقال فلسطين.. أتذكر إحساسه وهو يحكي ولا أتذكر كلماته.. أتذكر ملامح عينيه وانكسارهما وذهولهما ولون وجهه المحمَرّ وبرودة أصابعه، فأهتز لمشهد البرتقال وهو يزحف بقوة نحوي. "[١٠٢]

وتقول:"بقيتُ أتأملها طويلاً.. برتقالة تدحرجت من فلسطين، تلقفها أبي في ليبيا، ثم أمسكتُ بها أنا في غزة.. تمنيت لو كان أبي معي ليرى ما يشتهي، ليسمع رفرفات البرتقال وهي تتوغل بعيداً في الربط بين ذاكرتين""[١٠٣] .

إنّها رواية تتناص مع قصة مريم بنت عمران في كل زمان ومكان.. تلك الأنثى الشغوفة بالتفاصيل التي كانت نذراً مقدساً لله ولتحرير بيت المقدس.. فالمرأة الفلسطينية لم تنسَ نذر جدتها امرأة عمران، فأدت دورها ببراعة، وفهمت رسالة ربها عندما أنجبت جدتها «امرأة عمران» أنثى.. تلك الرسالة مفادها أنّ تحقيق النصر والتغيير ليس حكرًا على الرجل، فللمرأة فيه نصيب أكبر من أن يتوقعه الرجل!

فـ مريم، المرأة الفلسطينية، تحتضن المقاومين كما فعلت "أم نضال الفرحات عندما احتضنت عماد عقل في بيتها بعيداً عن أعين الاحتلال: "كان عماد سيفاً.. ما زالت ضحكته ترن في أذنها.. ما زالت تسمع وقع خطواته وهو قادم، نبض قلبه وهو جالس، وشكل نعليه.. في كل يوم تنزل إلى غرفته، عندها يستفيق ويرد عليها السلام.. تناديه بوجع: يا حبيب الدار والزيتونة والليمونة والدوالي.[١٠٤]

ومريم أيضا هي المرأة التي حملت همّ الزوج وعرفت أنها شريكته في المقاومة: «لم تكن تعاتبه على تأخره الدائم وانشغاله عنها طوال الوقت، لأنه علَّمها أنها شريكته في

١٠١ - - رب إني وضعتها أنثى ص٢٩٣.
١٠٢ - - رب إني وضعتها أنثى ص٢٤٥.
١٠٣ - - رب إني وضعتها أنثى ص٢٤٥.
١٠٤ - - رب إني وضعتها أنثى ص٦٩.

المقاومة.. تمنحه الهدوء والسكينة ويمنحها سماء مرصعة بالنجوم وقلباً ينبض بالحياة! تفتح له الأبواب الموصدة، وتتقاسم وإياه وطناً تتنفسه عطرا لا دخان فيه.[١٠٥] .

ومريم هي المرأة التي تحمّلت فاجعة فقْد أهلها جميعاً، والتي تكوَّرَ الحزن بين يديها حتى صار بحجم قطرة ندى.. «مريم» التي حملت همّ الأب والأخ والزوج والابن، فكتبت شهادة لم يقدر عليها الرجال، ونسجت ثوباً من الحكايات الحقيقية التي عاشتها، وطرزته بخيوط من الخيال في العديد من المشاهد الداخلية. وكتبت حتى لا ننسى ولا تنسى الأجيال المقبلة: «اكتبوا وأخرجوا كل الجراح التي تنزّ، الكتابة تجعل طريقك أقصر.. ونَفَسك أطول! ارسم.. اكتب.. لا فرق! لكن إياك أن تتلون.. إياك أن تضع يدك في جيبك.. تذكر أنك ستصافح وطنك كل يوم. "[١٠٦] .

نستدل فيما سبق أن المحور الرئيس الذي تدور حوله الرواية، هو الغربة والأسر في سجون الاحتلال ،والشتات الداخلي الماثل في النفوس ،ورحلة البطلة إلى غزة، فثمة قصص عديدة ممتدة من الزاوية بفلسطين شرقا، مرورا بمدن فلسطينية عدة، ثم بالزاوية في ليبيا غربا، وطرابلس وبنغازي، وانتهاء بأقصى الغرب في البرازيل.. ولكن الأمل ما زال معقودا لغد أفضل إشراقا كولادة جديدة لشعب فلسطيني يعيش الأمن والسلام في مجتمعه منتصرا على مواطن الشر وما أكثرها في البلاد العربية!

وإلى ما يذهب إليه بول ريكور في أن "الخيال لا يكتمل إلا بالحياة، والحياة لا تُفهم إلا من خلال القصص التي نرويها عنها" فقد منحتنا الكاتبة سردا نابضا بالحياة.

المحور الرابع:الكاتبة الإسرائيلية أورلي كاستل بلوم وروايتها "الرواية المصرية".

ولدت أورلي كاستل بلوم في (٢٦ نوفمبر ١٩٦٠) في تل أبيب لعائلة يهودية هاجرت من مصر عام ١٩٤٩. الرواية سيرة ذاتية لأسرة الكاتبة أولي كاستل بلوم أثناء وجودها في مصر.

رواية تحكي الشتات لعائلة يهودية عاشت في مصر مئات السنين ثم هاجرت سلالتها إلى إسرائيل

الكاتبة الإسرائيلية" أورلى كاستيل بلوم" في روايتها "الرواية المصرية قدمت إعادة تصوير حياة أسلافها ،وصورة واضحة للشتات اليهودي ، فتدور الرواية حول قصة عائلة ممتدة تنتقل

[١٠٥] - - رب إني وضعتها أنثى ص١٣٧.
[١٠٦] - - رب إني وضعتها أنثى ص١٩٤.

من مصر إلى إسرائيل فى منتصف القرن العشرين حيث رصدت هجرة اليهود من إسبانيا١٤٩٢ م، عندما أبحروا إلى غزة، كما رصدت الرواية اليهود الذين فضلوا البقاء فى مصر .والأحداث المترتبة على ذلك .

الفصل الأول يحكي عن حفل زفاف فتاة تُدعى فيفيان في كركور كان لها أختان تزوجتا في معبد شعر شمايم في القاهرة وعريسها تشارلي وكان أصغر إخواته الخمسة الذين ولدوا جميعا في مصر في النصف الأول من القرن العشرين أبناء فلور ودافيد كاستيل ،وقد عاشت عائلة فيفيان في مصر منذ مئات السنين كما قالت لها أمها فلور أنهم كنوا تابعين للعائلة غير المذكورة في تاريخ شعب إسرائيل وهي العائلة التي تشتت في الأرض ؛لأنها رفضت تنفيذ أوامر سيدنا موسى عليه السلام بالخروج من مصر وبقيت في مصر بصفتهم عبيدا."[١٠٧].

والفصل الثاني بعنوان حقيبة أوديل وبطلته شخصية من العائلة لم تكن تهتم مطلقا لا بالصهيونية ولا بالمستوطنة فلم تكن تريد الهجرة إلى إسرائيل صحيح أنها كانت ترتب باتقان أنشطة هشومير هتسعير في القاهرة ولكن لحبها الشديد لزوجها فيتا كاستيل الذي كان نبيلا وينادي بالمساواة والأخوة وكان عضوا نشيطا في منظمة هشومير هتسعير ويتلهف إلى الهجرة إلى إسرائيل لذلك غيرت خططها وجاءت إلى إسرائيل وبدأت حياتها من هنا"."[١٠٨]

تعكس هذه الرواية حنينها إلى جذورها المصرية، ووصفها لإسرائيل بأنها " قذرة ،"لم تكن سلسلت متزوجة ولم تكن لها ولا لأمها أية علاقة بدولة إسرائيل ،فقد كانت تلقي بدعوات السفارة الإسرائيلية في القاهرة للاحتفال بأعياد إسرائيل في القمامة على الفور"."[١٠٩]

تحافظ على الموازنات فى روايتها كمن يدس السم فى العسل حيث صورت المصري الموافق على التطبيع مع إسرائيل في هيئة شاب إيجابي طموح يقبل التحدي ويختار أعلى قمة لكي يتسلقها ويرفض الفشل. وينجح في مسعاه في المرة الخامسة وبالطبع للرقم ٥ دلالته في الثقافة المصرية والعبرية وهي المرة التي جعلت الكاتبة القاهرة بكل معالمها تحت قدميه وكأنه انتصر عليها وكأنه صاحب فكر جديد يمكن أن يسود خاصة أنه بعد المجهود الشاق

---

١٠٧ - السابق ،ص١٦.

١٠٨ - السابق ،ص١٧

١٠٩ - عبد الجواد إبراهيم نصر الدين:٢٠١٧م، رواية الأجيال الأسرية في الأدب العبري الإسرائيلي رواية الرواية المصرية"أورلي كاستل بلوم،مجلة الدراسات الشرقية،ع٥٨ القاهرة، ط١ ، ص٢٩.

والمكوث فوق القمة لفترة هبط في نشاط وبشكل سريع غير وجل أو خائف، وبدون حتى شعور بالإنهاك أو التعب..

وهي كلها سمات إيجابية تحاول الكاتبة من خلالها أن تحل عوائق تعترض طريق عودتها كإسرائيلية أو كيهودية مصرية مرة أخرى للجذور وهي عدم قبول الآخر في مصر للتطبيع وخلط البعض بين اليهود وبين الصهاينة وكأنها تشير إلى أن الشخص الذي يقبل التطبيع شخص إيجابي مستنير شاب يمثل جيل قادم ومستقبل يمكن عودة التعايش فيه للاستمتاع معا بالمكان دون صدام. ولذا جعلت الأديبة الشاب لا يتردد في قبول عرض بالدراسة في جامعة تل أبيب وكأنه جاء من أي جامعة في دولة أوروبية.

على مدار الرواية تركز الكاتبة على القصص النسائية بطول الرواية نجد أن بطلاتها نساء قويات ذكيات مثقفات غير مباليات بالصهيونية،ولا بالقصص التي تحكي عن أيدلوجيات أخرى كالاشتراكية.

ظهرت براعة الكاتبة في تقنية الزمن حيث ركزت على أزمنة تحول تاريخي ومجتمعي".[١١٠]

وفي الآونة الأخيرة ظهر جيل من الكتاب الأصغر سنا ممن يرفضون ببعض الشدة محورية التجربة الإسرائيلية؛ ليعكسوا في أعمالهم اتجاها أكثر عالمية، يحمل أحيانا كثيرة طابع الغربة والسريالية الشديدة والخصوصية. ويتمتع بعض هؤلاء (يهوديت كاتسير، إتغار كيرت، أورلي كاستل–بلوم، غادي تاوب، عيريت لينور، ميرا ماغين) بشعبية تكاد تصل إلى حد العبادة، ما يضمن لمؤلفاتهم الجديدة مركز الصدارة في قائمة الكتب الأكثر مبيعا في إسرائيل وفي بعض الحالات في الخارج أيضا.

المحور الخامس الكاتبة الأمريكية من أصول هندية ""نيلا لارسن روايتها " زنج" .

العبور العرقي Ethnic transit

العبور العرقي وهو في أبسط صوره إدعاء فرد من عِرق ما انتمائه إلى عِرق آخر أوفر حظًا ،وأحرى أن يتمتع المنتمون إليه بمزايا سياسية ،واقتصادية واجتماعية يسعون إلى احتكارها دون غيرهم"

[١١٠] - السابق ،ص٨٧.

وفي حالة التمييز العنصري برهن العبور العرقي على أن اللون وحده محدد رئيس لهُوية تبين أنها ضحلة ضحالة لون البشرة وهكذا يُشكل نجاح الأفراد والعابرين عرقيا، واستيعاب المجتمع الأبيض لهم هزءًا بهشاشة القيم التي يُبنى عليها المجتمع وسطحيتها باعتمادها المحض على لون البشرة.[١١١]

يرى توماس هولت في كتابه" مشكلة الحرية " أن القرن الحادي والعشرين سيكون أيضًا قرن التمييز العنصري.. وهو نفسه قرن مقاومة هذا التمييز، هذه هي الرسالة التي يتضمنها هذا الكتاب.

مؤلفة الرواية نيلا لارسن (١٩٦٤-١٨٩١م) ولدت في شيكاغو لأب أسود من إحدى جزر الهند الغربية وأم دانماركية ببشرة بيضاء ،ترك أبوها العائلة وهي في السنة الثانية فتزوجت أمها من آخر حملت نيلا اسمه فيما بعد ،عايشت في طفولتها التمييز العنصري بصفتها الفرد الوحيد ببشرة داكنة في عائلتها البيضاء؛ لأنه يقسم أحياء شيكاغو التي كانت بدأت تستقبل السود الفارين من جحيم الرّق في الجنوب الأمريكي،وقد أرسلتها أمها لدراسة التمريض في جامعة فيسك بولاية تينيسي الجامعة التي ربما كانت الوحيدة التي تستقبل الطلاب السود في ذلك الوقت.[١١٢]

نيلا لارسن رغم قلتها في الكتابة بسبب إحباطها من التمييز العنصري الذي ظلَّ يمارس عليها كل ألوان القهر طيلة حياتها حتى و ضمن الإخفاقات التي تعرضت لها عندما رفض الناشر طباعة الرواية الثالثة لها بعد أن أتمتها بعد حصولها على منحة غوغتهايم،كأول امرأة من أصل إفريقي عقب طلاقها من زوجها١٩٣٢م،ثم اختفت تدريجيا ولم يُعرف عنها شيء حتى ماتت بعد سنة من رفض أختها البيضاء في كاليفورنيا استقبالها،كتبت لارسن روايتين تناولت فيهما تعقيدات الهوية العرقية أصدرت الأولى بعنوان"رمل منهار،ثم أتبعتها بهذه الرواية التي نحن بصددها التي نشرت بعنون عبور أو عابرة"[١١٣]

أقدم سرديات العبور العرقي رواية"الهرب ألف ميل في سبيل الحرية سنة ١٨٦٠م ،حيث سردت فيه الكاتبة إلين كرافت قصة هروبها من جورجيا إلى بنسلفينيا ١٨٤٨م في رحلة فرار من الاسترقاق شاقة ومحفوفة بالمخاطر ،يصحبها زوجها الأسود أدّعت كرافت فيها أنها

١١١ - نيلا لارسن:،٢٠١٦م "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ، ص٨.
١١٢ - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٥.
١١٣ - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٥-٦.

رجل أبيض معتمدة على لون بشرتها،وأن زوجها الأسود هو خادمها ثم تتابعت بعد ذلك سرديات العبور العرقي أحدثها رواية "قوقاز"١٩٩٨م لدانزي سنا ..." "[١١٤]

والاسترقاق هذا الملمح الوحشي الذي ساد في أمريكا قد رفد المشهد الثقافي بمظاهر معقدة وغنية في الآن نفسه حيث ظهرت سرديات الأسر ثم الرق ثم الحرية ثم سرديات العبور التي جعلت من العبور العرقي موضوعا رئيسا لها حتى جاءت نهضة هارلم الثقافية التي كانت كاتبة الرواية عضوا بارزا فيها حيث أكدت نهضة هارلم على الاعتزاز والتضامن العرقيين حتى بدأ العبور العرقي يتلاشى كممارسة إجتماعية رويدا رويدا عندما ظهرت الحركات المروجة للتعددية الثقافية التي تصر على الاعتراف بحقوق الأفراد بمعزل عن عرقياتهم" "[١١٥]

وعندما نقف عند رواية "زنج" نجدها في مجال دراسات النساء السود ،حيث يشير العبور العرقي في الرواية إلي شبكة معقدة من الأدوات والمنعطفات والترحيلات الرمزية .وهو العائق الذي عانت منه كاتبة الرواية نفسها وسلطت الضوء عليه عبر سطور روايتها من خلال شخصيتين رئيسيتين من أصل زنجي آيرين ردفيلد ، وكلير كندري وقد عبرت الأخيرة مستغلة بشرتها البيضاء .

فالمعنى الحقيقي للعبور تكشفه آيرين بطلة الرواية تقول: "عمد بعض أبناء وأحفاد الزيجات المختلطة متسترين بلون البشرة الفاتح الذي يميز مظاهرهم إلى إخفاء هوياتهم الحقيقية وتبني هُوية جديدة ما كان لهم أن يتبنوها لو أُحتكم إلى عِرقهم في ضوء المعايير الاجتماعية السائدة."[١١٦]

"تاريخ العبور عبارة عن تاريخ فقد عظيم ،تاريخ هويات مختلطة ومشوشة ،تاريخ معاناة يومية،تاريخ اقتلاع من الجذور،وصراع بقاء في العراء ،ونظرا للطبيعة السريَّة فلا حصر دقيقا لحالات العبور العرقي إلا أن مؤرخين اتفقوا على أن آلافا من السود عبروا الضفة الأخرى طالما اقتضى العبور بطبيعة الحال انتقال الفرد العابر إلى منطقة بعيدة عن مدينته التي نشأ فيها"".[١١٧]

---

١١٤ - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٩.

١١٥ - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٩.

١١٦ - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٧.

١١٧ - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٧.

تُعدُّ هذه الرواية بتقنياتها السردية يتجلى فيها تيار الوعي بامتياز فتطالعنا سطورها الأولى بسرد ذاتي يسرد الكاتب فيه بوحا فياضا من المشاعر الإنسانية ، يَسْتَكْنِهُ الأبعادَ الغائرةَ للراوي ومن يحيط به من شخوص، وما يحلُّ به من أماكن .

من ضمن أشكال تيار الوعي في هذه الرواية المونولوج الداخلي كـ:"هكذا نما تدريجيا في آيرين شعور داخلي بالانزعاج هل عرفت تلك المرأة هل استطاعت أن تعرف أن أمام عينيها مباشرة في سطح الداريتون تجلس زنجية؟،شعرت آيرين بمشاعر الغضب والازدراء والخوف تتسلل إليها ليست لأنها خجلت من كونها زنجية ،بل إن ما أثار انزعاجها هو فكرة طردها من فندق الداريتون".[١١٨]

ثم تكتشف أنها صديقة الطفولة كلير حيث تعلن كلير لها عن سبب عبورها تقول:"عرفت أني لست سيئة المظهر وأني قد "أعبر" لا يمكنك أن تعرفي يا رين كيف كنت أكرهكم جميعا تقريبا ،عندما كنت أذهب إلى الجانب الجنوبي كنتم تملكون كل الأشياء التي أردتها ولم أستطع الحصول عليها أبدا،وقد جعلني ذلك أكثر تصميما على الحصول عليها وعلى غيرها هل تستطيعين أن تفهمي ما كنت أشعر به؟".[١١٩].

تقول كلير:" أتعلمين يا رين لطالما استغربت من فتيات ملونات فتيات مثلك أنتِ ،ومارغريت هامر ،واستر دوس،وأخريات كثيرات لماذا لم تعبرن إنه لشيء سهل لدرجة مخيفة لو أرادت واحدة أن تعبر فكل ما يلزمه الأمر مقدار ضئيل من الجرأة".[١٢٠]

"الحق أنها كانت فضولية،كانت هنالك أشياء تود أن تسأل كلير كندري عنها أرادت أن تعرف عن مسألة العبور المجاذفة تلك عن الانعتاق من كل شيء مألوف حميمي للعثور على فرصة بيئة أخرى ربما ليست غريبة كليا لكنها من دون شك ليست حميمية ماذا يصنع أحدهم على سبيل المثال بخلفيته التي أتى منها،وكيف يقدم لنفسه،ما الذي يشعر به أحدهم حين يكون على اتصال مع زنوج آخرين"[١٢١]

---

[١١٨] - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٢٥.

[١١٩] - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ، ٢٠١٦م ص٣٨.

[١٢٠] - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٣٦.

[١٢١] - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٣٦.

لترد عليها آيرين مستنكرة العبور العرقي "ماذا عن الخلفية أقصد العائلة ،لا يمكن أن تهبطي على أناس من اللامكان ثم تتوقعي أن يستقبلوك بأحضان مشرعة... "[١٢٢].

فالرواية ناقشت التمييز العنصري الذي نتج عنه عوائق جسيمة منها العبور العرقي الذي عالجته "زنج" ،هذه الرواية تحيلنا إلى نفس مشتتة متعبة للشخصية الرئيسة آيرين ردفيلد في الرواية التي تعاني منذ ولادتها من التمييز العنصري عكس صديقتها كلير كندري التي استطاعت أن تعبر عرقيا .

ويمكن أن تتخذ العنصرية والتعصب أشكالا مختلفة –مما يعوق التقدم لملايين الناس في جميع أنحاء العالم. من حرمان الأفراد بالمبادئ الأساسية للمساواة إلى تأجيج الكراهية العرقية التي قد تؤدي إلى الإبادة الجماعية – وكلها يمكن أن تدمر حياة الأفراد وتكسر المجتمعات. ويعتبر الكفاح ضد العنصرية مسألة ذات أولوية بالنسبة للمجتمع الدولي وما زال هذا الملف مفتوحا فهل سينتهي بعد؟!.

رواية زنج التي نتناولها في هذا البحث خير مثال على هذا النوع من الأدب إذ يشير العنوان الذي صدرت به الرواية (عبور،وعابرة) بنسختها الإنجليزية إلى ذلك.

الرواية صرخة في جنبات هذا العالم الملئ بالخطايا والظلم وكل أدوات القهر التي تجعل فئة مستلبة كالعابرين وقد صورت الكاتبة شخصية كلير كندري هذه الفتاة ذات البشرة البضاء ولكنها من أصل زنجي والتي اختارت أن تعبر من بيئتها إلى بيئة البيض لتتمتع بما تمتاذ به تلك الطبقة ولكنها عاشت حياة صاخبة انتهت بانتحارها

تقول آيرين عن شخصية كلير"كانت أنانية وباردة وصعبة المراس ومع ذلك كانت تتمتع أيضا بمقدرة غريبة على تحويل الدفء والشغف لصالحها،مقتربة أحيانا من بطولات مسرحية"[١٢٣].

المونولوج الداخلي أثناء قراءتها لرسالة كلير "أخبرت آيرين نفسها أنها ليست بحاجة إلى أن تقبل ،ولن تفعل،ولن تساعد كلير في إدراك رغبتها الحمقاء في العودة إلى تلك الحياة التي نركتها وراء ظهرها من زمن طويل ومن تلقاء نفسها".[١٢٤]

---

[١٢٢] - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ،٢٠١٦م ص٣٦.

[١٢٣] - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ، ٢٠١٦م ص٨.

[١٢٤] - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ، ٢٠١٦م ص١٨.

تخبر كلير "العابرة"صديقتها آيرين"إني وحيدة جدا...لا أستطيع فعل شيء خيال توقي إلى أن أكون معكمن جديد ولقد أردت أشياء كثيرة في حياتي،لا تسطعين أن تعرفي كيف أني طوال الوقت في حياتي البلدة هذه أرى الصور المشعة لتلك الحياة الأخربالتي اعتقدت مرة أني سعدت بالتحرر منها إنها مثل حمى مثل مثل ألم لا يتوقف أبدا،لأني ربما لم تكن لتتملكني الآن هذه الرغبة الفظيعة العارمة لو لم أرك هذه المرة في شيكاغو"[١٢٥]

رابعا ملخص البحث باللغة العربية

نتناول في البحث مصطلحات عديدة منها ،الهجرة، والشتات ،والتطهير العرقي،العبور العرقي من خلال ست روايات مختارة.

النفي والهجرة من أعظم الكوارث على الإنسان حيث يهاجر من وطنه الأم ، وجسده الأصلي ولغته الأصلية الذين يعيشون قسراً في بيئة تتميز بالعنصرية. في هذه الحالة ، يشعر الرجل المهاجر نفسه بأنه "الآخر" ويصبح ممزقًا بين مشاعري الانتماء وعدم الانتماء (هنا أو هناك) ، على الهامش أو في المركز. يبدأ المنفي في البحث عن هويته في نفسه وفي قدراته على تخيل العالم في صورته الجديدة. تمثل هذه الموضوعات حيوات أبطال الأعمال الروائية.

خامسا:الخاتمة

١- من ناحية الموضوع تستكشف هذه السرديات الأفكار التقليدية والمعاصرة عن الوطن والتشرد، والإنزياح من المكان، والانتماء الثقافي والوطني واللانتماء.

٢- يبدو الخطاب السردي في هذه الروايات المختارة كأنه مرآة عاكسة لكل تلك الفواجع التي جاءت من جراء الهجرة والشتات والتطهير العرقي ،والعبور العرقي.

3-الشتات معقد حيث يُمثل صراع هُويات ؛لأنه يؤجج الشتات أسئلة كثيرة منها:حفظ أو تبديل الهوية أو اللغة أو الثقافة، أثناء الوجود في سياق ثقافة أو دولة أخرى

٤-الاختلاف الأيدلوجي ،والاضطهاد العنصري، واللجوء؛ كل هذه الموضوعات تمثل حيوات أبطال الأعمال الروائية.

5-هذه القضايا الحرجة تحاكي حاضرا مؤججا بالتفرق والحقد والكراهية فهل من بصيص أمل لوحدة عربية ؟!

[١٢٥] - نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،،ط ١ ، ٢٠١٦م ص١٨.

سادسا:قائمة المصادر والمراجع:

١-أورلي كاستل بلوم: الرواية المصرية، دار نشر هكيبوتس همؤحد، إسرائيل، ط١. ٢٠١٥م."

٢-إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ج١، ثائر ديب (مترجم)، ط١، بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤م.

٣- إبراهيم الكوني ،ناقة الله ،،رواية،لبنان،دار سؤال للنشر،ط١ ،٢٠١٥م.

٤-إدوارد سعيد، خارج المكان، فواز طرابلسي (مترجم)، ط١، (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٠).

٥-إسنام تاليتش،قصة سربرينيتسا"رواية عن الحرب في البوسنة،ترجمة صهباء محمد بندق عن ترجمتها الإنجليزية لمحمد باشا نبيجوفش ، القاهرة ،دار السلام للطباعة والنشر والترجمة،ط١ ،٢٠٠٨م.

٦-إيلان بابه (مؤرخ إسرائيلي) التطهير العرقي في فلسطين ،ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،بيروت ط١ ،٢٠٠٧م

٧- عبد العزيز عتيق،،في النقد الأدبي، دار النهضة العربية ،بيروت، ط ١ ،،١٩٧٢،.

٨-رامي أبو شهاب : ،الممر الأخير"سردية الشتات الفلسطيني منظور ما بعد كو لونيالي،المؤسسة العربية للدراسات والنصر، لبنان ط١،٢٠١٧م

٩- ساري حنفي: ، بين عالمين :رجال الأعمال الفلسطينيون في الشتات ،وبناء الكيان الفلسطيني ."دار المستقبل العربي؛ القاهرة، ط٢.،1996 .

١٠--عبد الجواد إبراهيم نصر الدين: ، رواية الأجيال الأسرية في الأدب العبري الإسرائيلي رواية الرواية المصرية"أورلي كاستل بلوم،مجلة الدراسات الشرقية،ع٥٨ القاهرة، ط١ ،٢٠١٧م.

١١-عبد الله إبراهيم ، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.

١٢-نردين أبو نبعة"، ، :"رب إني وضعتها أنثى" " المركز العربي للدراسات والنشر،بيروت،،ط١. ٢٠١٣م.

١٣- نيلا لارسن:، "زنج" " ت: علي المجنوني، الدمام لمملكة العربية السعودية، ،ط١ ،٢٠١٦م.

١٤-*يمنى العيد، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨.*

١٥- مجموعة مؤلفين، قاموس مصطلحات الهجرة للإعلام ،نسخة الشرق الأوسط، ،مطبوعات الأمم المتحد ،ة،عمان ،ط١ ،،٢٠١٦م

Abstract:

Migration and ethnic cleansing in the contemporary novel Read reviews on selected models"

Dr. Rasha Ghanem- AUC- Egypt

Immigration، ، Diaspora ،Ethnic cleansing، transit Ethnic Terms covered by research through the novel

This Piece of Research aims at analyzing six selected novels as Immigration Diaspora Novels

One of the greatest catastrophes for man is to be exiled

from his native land, his native body and his native language living forced in an environment characterized by Racism. In this case, the exiled man feels himself “The other” and he becomes torn between the two feelings of Affiliation and non-Affiliation (Here or there), on the margin or in the center. The Exiled starts to look for his identity in himself and in his abilities to imagine the world in its new image. These topics represent the lives of heroines of the fictional works.